AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2147) - السنة (51) المحرم 1442هـ / 1 سبتمبر 2020م

سمو ولي العهد:

لا أحد فوق القانون.. ولا حماية لفاسد

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

التغريب وخطره على الأمة

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

www.mugtama.com

www.mugtama.com

«المجتمع» مجلة إسلامية عالمية شاملة

تصدر أسبوعياً عن «جمعية الإصلاح الاجتماعي» بدولة الكويت، وقد صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء 9 من المحرم 1390 هـ - 17 مارس 1970م، ومازالت منتظمة الصدور منذ ذلك التاريخ، حددت «المجتمع» هويتها في أول مقال افتتاحي بالقول: إنها «تستمد فكرها الأصيل من الإسلام، وعلى ضوئه وبمقياسه، وتتقبل - بصدر رحب - كل نقد هادف بناء، وترفض النقد الغوغائي الذي يأباه الخلق الإسلامي.. وتمد يدها لكل الناس، يداً ترفع راية الإسلام، وتبشر بالخير والبر، وتقف في تحدٍ لخصوم الإسلام.. وتكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة، ولن تتخلى عن قضاياه».

ومازالت «المجتمع» ماضية في طريقها الذي رسمته لنفسها؛ حيث تتناول شتى القضايا التي تهم الأمة: القضية الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى - قضايا الأقليات الإسلامية حول العالم - موجات الغزو الثقافي والتيارات الفكرية المحرفة - موجات الانحلال الأخلاقي وتذويب الهوية - جهود المفكرين في ترسيخ الفكر الإسلامي وتربية أبناء الأمة - معالم الاقتصاد الإسلامي ودوره في بناء النهضة والنجاحات التي يحققها في مقابل الاقتصاد الربوي الذي كان السبب الأول في الكارثة المالية العالمية.. وغيرها من القضايا.

من أجل ذلك وغيره..

تبرع وساهم معنا بتوصيل أكثر من 3000 اشتراك

- لمراكز إسلامية تلح بطلبها
- لمدارس وجامعات إسلامية
- لقراء «المجتمع» في العالم الذين لا يستطيعون اقتناءها

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560525

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2147) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة - الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

التغريب.. وخطره على الأمة

- سمو نائب الأمير: لا أحد فوق القانون ولا حماية لفاسد 6
- فزعة كويتية لإغاثة لبنان 8
- شرق المتوسط.. وحرب الاتفاقات البحرية 40
- ماذا يحدث في مالي؟ 42
- هلال الأمل 46
- كيف تربي طفلاً سوياً نفسياً؟ 62

مقالات

عفواً.. غزة العزة — سعد النشوان — 11

الإمام الرافعي — د. يوسف السند — 14

دول الخليج.. ومستقبل «التطبيع» مع الكيان الصهيوني — محمد سالم الراشد — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

آية العدد

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(البقرة)

العمل الخيري الكويتي.. في ذكرى اليوم الدولي

أُعتمد الخامس من سبتمبر من كل عام يوماً دولياً للعمل الخيري، وقد أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن هذا اليوم في عام 2012م، وقالت: إن الهدف الأساسي لليوم الدولي للعمل الخيري هو التوعية بالعمل الخيري وتوفير منصة مشتركة للأنشطة الخيرية حول العالم؛ ليشارك بها الأفراد والمنظمات الخيرية والإنسانية والتطوعية من أجل تحقيق أهدافهم على المستوى المحلي والوطني والإقليمي والدولي.

وبهذه المناسبة الدولية، نستذكر جهود العمل الخيري الكويتي على المستوى المحلي والعربي والإسلامي والدولي.

فالشعب الكويتي جُبل على حب الخير منذ القِدَم؛ ويفزع دائماً لنصرة أصحاب الحاجة، وإغاثة ونجدة من تحل بهم الكوارث والابتلاءات.

ويوماً بعد يوم، تؤكد الكويت، عبر مؤسساتها الخيرية العملاقة، أنها أرض النجدة والإغاثة، وأن أهلها الخيّرين هم أهل النخوة والمروءة لإغاثة كل محتاج، التي لن تكون آخرها بإذن الله فزعة إغاثة الشعب اللبناني.

فموقف الكويت؛ أميراً وبرلماناً وحكومة وشعباً، دائماً يمثل وساماً على الصدور، كما يمثل دافعاً وقوة لمؤسسات العمل الخيري لمزيد من انطلاق هذا العمل حول العالم؛ ليؤدي رسالته الإنسانية التي ترفع اسم الكويت عالياً، وليس ذلك غريباً؛ فمؤسسة الحكم في الكويت ترعى وتساهم وتدعم العمل الخيري الكويتي حول العالم منذ القدم، وذلك واضح وجلي من مواقف وأقوال سمو أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله، الذي أكد قائلاً: «إن العمل الخيري الكويتي تاج على الرؤوس»، ووصية أمير الكويت الراحل سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح لأهل الكويت بقوله يرحمه الله: «كونوا عوناً على فعل الخير»، وتأكيدات رؤساء مجالس الأمة الكويتي، ورؤساء مجالس الوزراء على رعاية العمل الخيري.

وهكذا يواصل العمل الخيري الكويتي مسيرته الإنسانية الناصعة بكل قوة وثبات، مدعوماً من الشعب الكويتي المسلم، ولم -ولن- تعطل مسيرته تلك الأقلام المسمومة والأبواق الرخيصة التي تحاول تشويه رسالته السامية، وخدماته الإنسانية الجليلة التي يشهد بها العالم أجمع، التي تنتشر آثارها في شتى بقاع الأرض.■

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

سمو نائب الأمير:
لا أحد فوق القانون ولا حماية لفاسد

التعدي على حريات الناس مرفوض وسيواجه أصحاب الأفعال الدنيئة العقاب العادل

نحذر من مظاهر العبث والفوضى والمساس بكيان الوطن ومؤسساته

لن يفلت أي مسيء من العقاب وواثقون بأن شعب الكويت لن تنطلي عليه الأباطيل

وجّه سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، إلى أبنائه المواطنين كلمة وضع سموه خلالها -بلغة حاسمة وحازمة ورؤية واضحة- النقاط على الحروف إزاء ما تشهده الساحة المحلية من أحداث طارئة.

حيث وصف سموه التسريبات الأخيرة بأنها «بدعة وممارسات شاذة ومرفوضة وتعدٍّ على حريات الناس وخصوصياتهم، تطول بعض العاملين في مؤسساتنا الأمنية»، محذّراً من أن ما يدور في الساحة «مظاهر عبث وفوضى ومساس بكيان الوطن ومؤسساته».

وأكد سموه اعتزازه «بمؤسساتنا الأمنية ورجالها ونسائها المخلصين، ولن يضيرها أو ينتقص من قدرها شذوذ البعض الذين سينالون قصاصهم العادل جزاء أفعالهم الدنيئة».

وقال سموه: إن البعض يحاول شق الصف وإثارة الفتنة، لكن «الأمر بيد قضائنا العادل، وأشدد: لن يفلت مسيء من العقاب»، واصفاً التسريبات بالأفعال الدنيئة التي ينبغي التوقّف عن تداولها، موضحاً أنه «لن يستفيد من تداول المواد الضارة غير أعداء الوطن، ومن يسعون إلى تحقيق مصالح خاصة على حساب أمنه واستقراره».

وردّ سمو نائب الأمير على من يثير التساؤل حول محاسبة أبناء الأسرة الحاكمة بأنهم جزء من أبناء الشعب الكويتي وتسري عليهم القوانين ذاتها، ومن يخطئ يتحمّل مسؤولية خطئه، فليس هناك من هو فوق القانون.

وأكد سموه أنه لا أحد فوق القانون، ولا حماية لفاسد مهما كان اسمه أو صفته أو مكانته.

ودعا الحكومة ومجلس الأمة إلى اعتماد التدابير الفاعلة والتشريعات الكفيلة بردع الفاسدين والقضاء على مظاهر الفساد وأسبابه بكل أشكاله.

كما شدّد سمو نائب الأمير على أن محاربة الفساد ليست خياراً، بل هي واجب شرعي واستحقاق دستوري ومسؤولية أخلاقية، ومشروع وطني يشترك الجميع في تحمّل مسؤوليته.

ووصف الفساد بأنه آفة مدمرة، قائلاً: «ورأينا كيف أحال أمماً متقدمة إلى كيانات مهلهلة يفتك بها الفقر والجهل والمرض، وقد استشعرنا غزو هذه الآفة بلدَنا عبر مظاهر مختلفة».

وقال سموه: «إذا كنا نشكو من الفساد فليس من المقبول أن يصور البعض الكويت بأنها أصبحت موطناً للفساد! ولنا وقفة جادة وحازمة لمواجهة هذا الخطر المدمر بكل عزم وقوة».

كما بيّن سمو نائب الأمير أن «شعب الكويت الأصيل لن تنطلي عليه هذه الأباطيل، ولن نسمح لقلة ضالة بجرّ بلدنا إلى الانقسام والفوضى باسم الحرية الزائفة».

وأعاد سموه إلى الأذهان ما حذّر منه سمو الأمير مراراً بشأن خطورة انحراف بعض وسائل التواصل الاجتماعي وما تشكّله من معاول هدم وتخريب لبنيان مجتمعنا وقيمه الفاضلة، وما تحفل به من افتراءات وإثارة للفتن وإشاعة روح الإحباط والتشاؤم وإطلاق الاتهامات بلا دليل، وقال: «إن الأمر يُوجب الإسراع في ترجمة التوجيه السامي بالقضاء على من أسماهم سموه (سمو الأمير) أشباح الفتنة، حفاظاً على أمن البلاد وصيانة مجتمعنا».

كما دعا سموه السلطتين التنفيذية والتشريعية إلى تصويب مسار العمل واستشعار التحديات والمخاطر، مشدّداً على أنه أمام الكويت تحديات حقيقية جادة، لا تحتمل ترف التسويف والانشغال بالمماحكات السياسية وتصفية الحسابات، وتسجيل النقاط والانحراف في استخدام الأدوات الدستورية الرقابية.

وأشاد سمو نائب الأمير برئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ صباح الخالد، وقال: «أمامنا الكثير من الملفات والقضايا المهمة، نتيجة تراكمات طويلة تحتاج في معالجتها الجدية والحكمة والفكر الخلاق، كما تحتاج التعاون البنّاء والإيجابية وروح الفريق الواحد، ولنا في سمو الشيخ صباح الخالد وقدرته على التصدي لهذه الملفات ثقة كبيرة مستحقة، بالتعاون مع المخلصين من أبناء هذا البلد الكريم».

خطاب الحزم

هذا، وقد أكد عدد من نواب مجلس الأمة أن خطاب سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الصباح كان واضحاً وصريحاً بضرورة مواجهة آفة

الفساد، مع التأكيد على أنه لا أحد فوق القانون.

وأشاد رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم بخطاب سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الذي وجهه للشعب الكويتي، واصفاً إياه بأنه «خطاب الحزم ووضع النقاط على الحروف».

وقال الغانم: «هكذا يتصرف رجال الدولة الكبار، وهكذا ينبرون في مثل تلك المنعطفات التاريخية الوطنية ليعيدوا الأمور إلى نصابها الصحيح».

وقال الغانم: «عندما يتحدث سموه عن آفة الفساد فهو يذهب باتجاهين متوازيين؛ الأول: التشديد على ضرورة محاربة الفساد، وأنه لا أحد فوق القانون حتى لو كان من الأسرة الحاكمة، والثاني: عدم اتخاذ تلك الأفعال الشاذة سبباً ومطية لإشاعة ثقافة الإحباط وتصوير الكويت وكأنها بؤرة فساد كما وصفها سموه».

من جانبه، قال النائب محمد الدلال: بعد خطاب سمو نائب الأمير ولي العهد، على الحكومة ترجمة الخطاب إلى خطوات عملية جادة تبدأ بإعادة تقييم جهاز أمن الدولة وإعادة بنائه من جديد وفق معايير جادة وقانونية، وإيكاله إلى قيادات مسؤولة.

وأضاف أن سموه أكد في خطابه احترام خصوصية الناس وحرمة انتهاكها، وعلى الحكومة المبادرة مع المساءلة باتخاذ إجراءات حازمة لمنع أي تجاوز على خصوصيات وحريات الأفراد، وبإعادة النظر في التشريعات باتجاه التشدد في احترام خصوصيات الناس ومنع التجاوز عليها.

أما النائب أسامة الشاهين فقال: إن تأكيد سمو نائب الأمير على الحزم والقوة في محاربة الفساد، ومحاسبة المخطئ من أبناء أسرة الصباح الكريمة وغيرها، وعدم حماية الفاسدين مهما علوا، محل تقديرنا واعتزازنا جميعاً، وطالب الحكومة بترجمة الخطاب لإجراءات عملية فورية، مبيناً أن تجديد سمو نائب الأمير بالتمسك بالديمقراطية والحريات العامة والدستور مبعث إجماع واعتزاز يتجدد.

وقال النائب محمد المطير: إن كلمات سمو نائب الأمير، حفظه الله، واضحة ألفاظها، سديدة معانيها، وأضاف أن الدور الآن على سمو رئيس الوزراء لترجمتها عملياً، وأكد أن أول إجراءات رئيس الوزراء يجب أن تكون إبعاد كل من وجوده في الحكومة سيفقد الشعب الثقة بإجراءاتها؛ لأنه سبب المشكلة وأصل بقائها.

من جانبه، قال النائب د. حمود الخضير: «سمعاً وطاعة يا سمو نائب الأمير، ونعاهد سموك على تنفيذ التوجيهات السامية بتعاون السلطتين في إقرار التشريعات المطلوبة للتصدي لمثيري الفتن ومظاهر الفساد، وكلنا ثقة في شعبنا الوفي بالحفاظ على كويت المحبة والسلام من عبث العابثين».

بدوره، قال النائب د. عادل الدمخي: «سمعاً وطاعة يا سمو نائب الأمير ولي العهد، وسنتصدى بإذن الله وفق مسؤوليتنا لكل من يعيث فساداً في بلدنا بالطرق القانونية والدستورية، وخاصة من يعبث بالأمن الوطني والشخصي وينتهك حرمات الناس وخصوصياتهم، وهذا ما أقسمنا عليه أمام الشعب الكويتي».

وقال النائب د. محمد الحويلة: «جاءت كلمة سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد بأسلوب الوالد الحكيم الذي يثق بأبنائه ويعول عليهم، وحملت مضامين سامية ورسائل عميقة».■

الشايع
SINCE 1928 منذ
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES
الكويت - السعودية - الإمارات - قطر - البحرين
KUWAIT - SAUDI ARABIA - U.A.E.- QATAR - BAHRAIN
E-mail: afkar@afkar.com.kw - Website : www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

عقب تفجير مروّع ضرب مرفأ بيروت وخلَّف آلاف القتلى والجرحى..

كتب- سيف الدين باكير:

استنفرت دولة الكويت على المستويين الرسمي والشعبي لإغاثة الشعب اللبناني، وذلك بعد التفجير المروع الذي ضرب مرفأ بيروت في الرابع من أغسطس الماضي، وأدى إلى مقتل ما لا يقل عن 180 شخصاً، وإصابة نحو 6 آلاف آخرين، وتسبب في دمار هائل بأحياء العاصمة وخسائر بمليارات الدولارات.

فزعة كويتية لإغاثة الشعب اللبناني

أكدت دولة الكويت؛ حكومة وشعباً، وبناء على حرص وتوجيهات صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، وسمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد، حفظهما الله ورعاهما، تقديم كل الدعم وتوفير كل المستلزمات الضرورية في مواجهة تداعيات الحادث الأليم للأشقاء في لبنان.

فقد أجرى سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد اتصالاً هاتفياً بالرئيس اللبناني العماد ميشال عون، أعرب خلاله عن تعاطف دولة الكويت مع لبنان الشقيق في مواجهة حادث الانفجار، ودعمها له في مواجهة آثاره ووقوفها إلى جانبه، وعبر سموه عن خالص تعازيه وتعازي الشعب الكويتي له وللشعب اللبناني

الكويت ستعيد بناء صوامع القمح في مرفأ بيروت التي دمرها الانفجار

تخصيص 41 مليون دولار لمساعدة لبنان

ولأسر الضحايا، متمنياً سموه للضحايا الرحمة والمغفرة، وللمصابين سرعة الشفاء والعافية، سائلاً سموه المولى تعالى أن يحفظ لبنان وشعبه الشقيق من كل مكروه.

وكانت توجيهات سامية صدرت بإرسال مساعدات طبية عاجلة إلى الأشقاء في لبنان لمواجهة آثار الانفجار.

من جهته، أعلن رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح الخالد، في المؤتمر الدولي لدعم بيروت، استعداد الكويت لتقديم الدعم للبنان في مواجهة كارثة الانفجار بالتزامات مسبقة على الصندوق الكويتي للتنمية يعاد تخصيصها لمصلحة لبنان بما يقارب 30 مليون دولار، سيتم التنسيق بشأنها مع السلطات اللبنانية لدعم الأمن الغذائي، إضافة إلى مساعدات طبية وغذائية عاجلة تصل إلى 11 مليون دولار، إضافة إلى تبرعات الجمعيات الخيرية الكويتية.

وتسلَّم لبنان أولى المساعدات العاجلة من الكويت التي نقلت بواسطة طائرة تابعة للقوة الجوية الكويتية على متنها 35 طناً من المستلزمات الطبية لدعم الشعب اللبناني.

من جهتها، قالت رئاسة أركان الجيش الكويتي: إن هذه الشحنة جاءت تنفيذاً للتوجيهات السامية، وتجسيداً لروح الأخوة والتعاون المشترك بين الكويت ولبنان، وحملت احتياجات ومساعدات طبية طارئة لتأمينها للمتضررين جراء حادث الانفجار.

بدوره، عبر مجلس الأمة الكويتي، في بيان، وقوف دولة الكويت مع لبنان في هذه المحنة، مستذكراً الموقف المبدئي للبنان عندما كان أول بلد عربي يدين ويستنكر ما تعرضت له الكويت في يوم الثاني من أغسطس 1990م من غزو غاشم واحتلال.

بناء صوامع القمح

وفي خطوة إنسانية لافتة، أعلن سفير الكويت في بيروت، عبدالعال القناعي، أن الكويت ستعيد بناء صوامع القمح في مرفأ بيروت التي دمرها الانفجار.

وقال: إن الكويت أنشأت جسراً جوياً بعد وقوع انفجار المرفأ، وإن 18 طائرة نقلت حتى الآن نحو 800 طن من المساعدات التي ستتواصل للتخفيف من المحنة والكارثة التي ألمت بالشعب اللبناني.

وعلى المستوى الشعبي، أطلقت عدة هيئات وجمعيات خيرية كويتية حملات عاجلة لإغاثة متضرري انفجار بيروت تحت شعار «فزعة للبنان».

www.mugtama.com

فقد عبرت جمعية الإصلاح الاجتماعي عن تعاطفها وتضامنها مع الشعب اللبناني في مصابه الأليم، وأعلنت عن فتح باب التبرعات لإغاثة الشعب اللبناني.

وقال رئيس مجلس إدارة الجمعية د. خالد المذكور: نقف مع إخواننا بلبنان في مصابهم انطلاقاً من واجب الأخوة العربية والإسلامية، وقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المؤمنون: 52)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وأثنى المذكور على تفاعل الشعب الكويتي بكل فئاته مع هذا المصاب الجلل، وخاصة التوجيهات السامية من سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ نواف الأحمد، بإرسال مساعدات طبية عاجلة إلى الأشقاء في الجمهورية اللبنانية لمواجهة آثار الانفجار، مشيراً إلى أن الاهتمام الدائم الذي تبديه الكويت للبنان واللبنانيين يعكس بأمانة الحرص الكويتي على دعم لبنان في المحافل الإقليمية والدولية، والعمل للمحافظة على استقراره وأمنه واقتصاده.

وأكد المذكور أن ما يربط الشعبين الكويتي واللبناني من وشائج ضاربة في عمق التاريخ وعلاقات أخوية استدعى الوقوف بجانب الشعب اللبناني في مثل هذه الظروف، وأشار إلى أن لبنان وقف دائماً إلى جانب الحق الكويتي، فقد بادر بالاعتراف الفوري باستقلال دولة الكويت عام 1961م، وكان رئيس الوزراء اللبناني الأسبق د. سليم الحص أول من أدان بصراحة وقوة الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت عام 1990م.

فيما جمعت «نماء للزكاة والتنمية المجتمعية» بجمعية الإصلاح الاجتماعي 100 ألف دولار حتى الآن ضمن حملتها «بيروت تستغيث»، بحسب مديرها العام سعد العتيبي.

وأعلنت جمعية الهلال الأحمر الكويتي عن حملة تبرعات لمصلحة الشعب اللبناني، وأرسلت طائرة إغاثية من قاعدة عبدالله المبارك الجوية إلى لبنان، وعلى متنها 36 طناً من الأدوية والكراسي المتحركة وحليب الأطفال وأكياس الدم.

وأشار رئيس مجلس إدارة الجمعية د. هلال الساير إلى أن فريقاً من المتطوعين توجه إلى لبنان لتوفير الاحتياجات اللازمة وتقديم كل الإمكانات، بالتعاون مع سفارة الكويت في بيروت والصليب الأحمر اللبناني.

وتحت شعار «فزعة للبنان»، أطلقت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية حملتها العاجلة لإغاثة متضرري الانفجار، وفي هذا السياق خصصت 250 ألف دينار للإسهام في تضميد جراح المنكوبين.

وقال المدير العام للهيئة الخيرية م. بدر الصميط: إن الهيئة عقدت اجتماعاً عاجلاً فور وقوع الانفجار لتقدير الموقف ودراسة التقارير والاحتياجات التي وردتها من شركائها، وعلى الفور خصصت مبدئياً 250 ألف دينار للمساعدة في الدعم الإغاثي والصحي والإيوائي للمتضررين، كما أطلقت حملة شعبية لدعوة المتبرعين للإسهام في تخفيف معاناة الضحايا.

ولفت إلى أن فرق العمل بالهيئة الخيرية استنفرت جهودها للوقوف إلى جانب الشعب اللبناني حتى نهاية أزمته، مشدداً على أن التضامن مع المنكوبين في هذا الظرف الاستثنائي والدقيق واجب شرعي وإنساني.

إلى ذلك، سيّرت جمعية الرحمة العالمية في إطار حملتها التي أطلقتها «الكويت معكم» 7 شاحنات تحمل مواد إغاثية للبنان، وقال ممثل الجمعية وليد السويلم: الجمعية وزعت مواد إغاثية على المتضررين من الانفجار المروع، حيث سيّرت 7 شاحنات بها أكثر من 7 آلاف طرد من المواد الإغاثية الضرورية، واستفادت 7 آلاف أسرة متضررة من البرنامج الغذائي، لافتاً إلى أن فرق العمل بجمعية الرحمة العالمية استنفرت جهودها للوقوف إلى جانب الشعب اللبناني حتى نهاية أزمته.

كما أعلنت جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية تسيير 9 قوافل إغاثية، بالتعاون مع عدد من المؤسسات الخيرية اللبنانية، وقال مدير إدارة تنمية الموارد والإعلام بالجمعية عبداللطيف الدواس: أطلقنا حملة «اطمئني بيروت» عقب وقوع الحادثة مباشرة، موضحاً أن الجمعية قدمت الطرود الغذائية والمساعدات الطبية، بالإضافة إلى صيانة وترميم العديد من المنازل المتضررة جراء الانفجار، بكلفة بلغت 50 ألف دينار كويتي، استفاد منها 5600 متضرر.

وأوضح رئيس الجمعية الكويتية للإغاثة أحمد الجاسر أن الجمعية كعادتها بادرت بدعوة مجموعة من الجمعيات الخيرية لدراسة كيفية إطلاق المساعدات بأقصى سرعة ممكنة، وبالتنسيق مع وزارتي الشؤون والخارجية تم بفضل الله تعالى اعتماد مبلغ 100 ألف دينار كإغاثة عاجلة أولية تحت شعار «الكويت بجانبكم».

من جهته، صرح رئيس قطاع الموارد والعلاقات العامة والإعلام بجمعية النجاة الخيرية عمر الثويني بأن الجمعية أطلقت حملة إغاثية عاجلة لنجدة ومساعدة الأشقاء في لبنان، تحت شعار «أبشري لبنان» لجمع مبلغ 100 ألف دينار.

وقال الثويني: ما نقلته لنا العدسات من مشاهد تقشعر لها الأبدان، فقد شاهدنا اللحظات الأولى لكارثة الانفجار الضخم الذي هز العاصمة اللبنانية بيروت، وهذه المشاهد آلمتنا جميعاً ودفعتنا للمسارعة بإطلاق هذه الحملة.■

«نماء» أطلقت حملة «بيروت تستغيث» وجمعت 100 ألف دولار

«الهيئة الخيرية»: 250 ألف دينار لتضميد جراح المنكوبين

«النجاة»: «أبشري لبنان» لجمع مبلغ 100 ألف دينار

«الرحمة العالمية»: 7 شاحنات إغاثية بها أكثر من 7 آلاف طرد من المواد الإغاثية

«النوري» أطلقت حملة «اطمئني بيروت» وسيّرت 9 قوافل إغاثية

رحل في مثل هذا الشهر..

عبدالله العلي المطوع وفقه إدارة الأزمات

تتدافع الأيام، وتتزاحم الليالي، وتظل ذكرى الصالحين متعمقة في نفوس الجميع، لما لمسوه منهم من الفهم السديد، والإيمان القويم، والعمل الدؤوب لنصرة هذا الدين، وظلوا كذلك حتى لقوا الله وهم على ذلك.

وفي مثل هذه الأيام، رحل عن عالمنا أحد القادة الذين وهبهم الله حسن إدارة الأزمات ودبلوماسية الحوار ووطنية القيادة، وهو العم عبدالله العلي المطوع، الذي رحل يوم الأحد 10 شعبان 1427هـ/ 3 سبتمبر 2006م.

رحل المطوع وقد ودعه ورثاه العلماء والأمراء والمحبون والفقراء والدعاة والتلاميذ والشعراء، لما تركه في نفوسهم من تأثير تربوي ومواقف عملية وحية.

رحل بعدما حشد الجموع من أجل نصرة بلاده حينما اجتاحها الغزو العراقي عام 1990م، حيث تحرك على جميع الأصعدة لشحذ همم القادة والشعوب من أجل تحرير بلاده.

بين الصفوف المؤمنة:

ولد العم عبدالله بن علي بن عبدالوهاب المطوع القناعي عام 1345هـ/ 1926م بالكويت، ونشأ في أجواء عائلية ملتزمة ساعدت على رسم طريقه واختيار رفقته.

تمرس منذ صغره في العمل التجاري حتى أضحى وسط الجميع التاجر الصدوق، وأصبح بوابة العمل في الحقل الإسلامي بعدما تعرف على الشيخ حسن البنا في رحلة الحج عام 1367هـ/ 1946م، حيث أسهم في تأسيس جمعية الإرشاد الإسلامي، في عام 1950م، كأول عمل إسلامي مؤسسي بالكويت، ثم جمعية الإصلاح الاجتماعي في مطلع الستينيات، وأصبح رئيس مجلس إدارتها.

العمل الجهادي:

كانت لتربية عبدالله المطوع وحبه لدينه وأوطانه الأثر الكبير في دعم القضية الفلسطينية، بل ودعم الشعوب الإسلامية المستضعفة في مواجهة الإمبريالية المقيتة.

كانت القضية الفلسطينية قضية كل مسلم، فمنهم من نصرها بماله أو نفسه أو وقته، وقد عمل أبو بدر المطوع على نصرتها بكل ما أوتي.

فحينما أنشئت قواعد ومعسكرات الشيوخ بمنطقة الأغوار في الأردن لمناجزة اليهود، شارك بماله في دعم المجاهدين الذين كان لهم دور كبير في معاركهم ضد اليهود في الفترة من عام 1968 حتى 1971م.

الدبلوماسية من أجل وطنه:

كانت من المواقف التي ميزت عبدالله المطوع دبلوماسيته المحنكة التي جمعت الآراء حينما اجتاح الغزو العراقي الكويت.

فقد كان أبو بدر في الأردن يقضي إجازة الصيف حينما دخل الجيش العراقي إلى الكويت، واستولى عليها؛ فسارع أبو بدر يتحرك في جميع الاتجاهات ليوحد الجهود، ويشحذ الهمم من أجل تحرير وطنه.

وقد يخفى على البعض دوره الكبير في إنقاذ «مؤتمر جدة الشعبي» بعد الاحتلال، حيث حصلت اختلافات قبيل افتتاح المؤتمر بساعات من بعض التيارات السياسية، وكادوا يفشلون المؤتمر والجماهير تنتظر في القاعة، فما كان منه إلا أن سارع بالالتقاء بهم ومحاورتهم وإقناعهم بتقديم مصلحة الكويت قبل كل شيء، فتم الإصلاح قبل ساعتين فقط من الافتتاح!

ولا يجهل أحد زيارته لمصر قبل مؤتمر «جدة» الشعبي التاريخي؛ حيث التقى بجميع الأحزاب والفعاليات السياسية المصرية وقيادات ورؤساء الأحزاب، منهم فؤاد سراج الدين، رئيس حزب الوفد، وخالد محيي الدين، رئيس حزب التجمع، وإبراهيم شكري، رئيس حزب العمل، كما التقى مجموعة كبيرة من العلماء والمسؤولين، وكذلك قيادات جماعة الإخوان، وكانت مواقف الجميع مشرفة، كما قال رحمه الله، حيث أبدوا كامل استعدادهم وتأييدهم للقضية الكويتية.

كانت لتربيته أثر كبير في دعم القضية الفلسطينية ودعم الشعوب الإسلامية المستضعفة في مواجهة الإمبريالية

كان له دور مهم في إنقاذ مؤتمر جدة الشعبي من الفشل إثر حدوث خلافات قبيل افتتاحه

دعا إلى مؤتمر الرياض الإسلامي الذي حقق نجاحاً كبيراً في مواجهة مؤتمر لصدام بالعراق

كان يوزع الأموال بسخاء على المناضلين والمقاومين وأبناء الشعب الكويتي

وقام بالتعاون مع وزارة الإعلام الكويتية بنشر الفظائع التي ارتكبها النظام العراقي الغاصب داخل الكويت، وغير ذلك من الأنشطة والجهود الوطنية.

كما شارك في العديد من الوفود الشعبية التي زارت دولاً كثيرة برفقة العم يوسف الحجي، والنائب أحمد السعدون، ووزير الإعلام آنذاك يوسف السميط، والعم أحمد سعد الجاسر.. وآخرين؛ لشرح القضية الكويتية.

ومن أدواره المشهودة في تلك الفترة الدعوة إلى مؤتمر إسلامي في الرياض، عندما علم بأن صدام حسين يعد العدة لمؤتمر كبير في العراق يدعو إليه علماء المسلمين، في محاولة للتغطية على فعلته الشنعاء بالكويت وأهلها، وكان العم أبو بدر وقتها في «دكا» لأمور تتعلق بالقضية الكويتية، فاتصل بعلماء المسلمين الذين تربطه معهم صلات طيبة من جميع أنحاء العالم، وحقق المؤتمر الذي عقد في الرياض نجاحاً كبيراً في دعم القضية الكويتية، وقضى على مؤتمر صدام العراق في مهده.

ولم يتوقف دوره عند هذا الحد نصرة لوطنه المحتل، فقد أسهم في إصدار صحيفة «المرابطون» في بريطانيا للدفاع عن الكويت، وقام بالتنديد بالاحتلال ومطالبة الدول العربية بالتعاون لطرد الغازي العراقي، وكان يقوم بتوزيع الأموال بسخاء على المناضلين والمقاومين وأبناء الشعب الكويتي بواسطة فعاليات موجودة داخل الكويت من أجل تخفيف المحنة على المواطنين.

رحم الله المجاهد الشيخ أبا بدر العم عبدالله المطوع؛ حيث ترك في نفوس الجميع أثراً وبصمات، وخلف من الأعمال التي نحسبها تشهد له بالخير أمام الله سبحانه.■

المصادر

1 - عبدالله المطوع.. رائد دعوة الإصلاح: مجلة المجتمع الكويتية، https://bit.ly/2LW4vMs

2 - غسان محمد دوعر: قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضدّ المشروع الصهيوني 1968 - 1970م، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت لبنان، ط1، 2018م، ص 57.

3 - عبدالله العقيل: من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، ط8، دار البشير طنطا، 2008م، ص 565.

عفواً.. غزة العزة

سعد النشوان

رئيس قسم الشؤون المحلية

قبل 13 عاماً، فرضت سلطات الكيان الصهيوني الغاصب حصاراً على قطاع غزة على إثر فوز التيار الإسلامي (حركة «حماس») في الانتخابات التشريعية، ويشمل هذا الحصار منع أو تقنين دخول كافة المحروقات والكثير من السلع، بالإضافة إلى الكهرباء، وهنا لا أعلم ما المطلوب من التيارات الإسلامية لكي تُسيِّر أمور البلاد والعباد والشراكة مع المجتمع؟! وكأن «الديمقراطية» ممنوعة على التيارات الإسلامية، ويجب أن تكون النتيجة في أي انتخابات لا يكون للإسلاميين نصيب فيها! هذا والدولة الفلسطينية تحت الاحتلال الصهيوني، فما بالنا لو أن فلسطين دولة مستقلة ذات سيادة، تحت حكم القيادات الحالية؛ لأصبحت الدماء كما يقول المثل العربي «إلى الركب»!

إن الأمر الخطير في الحصار على غزة ليس من الصهاينة، فهم كما قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: 8)، بل إننا نعتب على الدول العربية والإسلامية، وخاصة الجارة الكبرى لغزة وعمق الأمة العربية جمهورية مصر العربية التي دائماً ما تغلق معبر رفح المتنفس الوحيد لغزة.

إن آثار هذا الحصار الجائر ألقت بظلالها على أهل غزة؛ فأصبحت البطالة السمة الغالبة للغزيين التي وصلت إلى 56%، حسب المصادر الرسمية، ووصل خط الفقر في القطاع إلى 65%، وأصبح أكثر من 80% من الشعب الغزاوي يعتمد على المساعدات الدولية، وبعض الدول العربية، ومع ذلك نجد هذا الشعب الصابر الذي يتعرض منذ 13 عاماً إلى هذا الحصار الظالم؛ نجده قد خرَّج أكثر من 20 ألف حافظ لكتاب الله عز وجل، ووجود 2226 حلقة تحفيظ، وظهرت الصناعات اليدوية في القطاع، بالإضافة إلى الدور المهم للمرأة الغزاوية التي استطاعت أن تربي للأمة جيلاً من أبناء المقاومة الذين لا يرضون بالمهانة والذل، وهم فعلاً من قدَّم للأمة المعنى الحقيقي للعزة والكرامة، وأدخلوا مصطلحاً جديداً بعنوان «أهل غزة العزة».

إن المساعدات التي تُقدَّم من بعض الدول الإسلامية لا تفي بالغرض المعيشي لأهلنا في غزة، ويجب علينا أن نعمل على زيادة هذه المساعدات، وعلى الدول العربية والإسلامية العمل بطريقة واقعية والشعور الحقيقي بأن أهل غزة وفلسطين هم أهلنا حقيقةً، وليس لتسجيل موقف سياسي.

وأقول لأهل غزة خاصة، وفلسطين عامة: عذراً، فنحن لا نملك إلا الكلام، ونحن عاجزون عن نصرتكم إلا بالدعاء، ونبرأ إلى الله من المواقف السياسية المتخاذلة التي لا تعبر عن رأي أغلب الشعوب العربية، وأنا أتحدث عن دور دولة الكويت الذي أفخر به كأحد مواطنيها، فلدينا أمير وضع نصرة فلسطين وغزة نُصب عينيه، ومجلس أمة (البرلمان الكويتي) أخذ طرد الصهاينة من الاتحاد البرلماني الدولي هدفاً له، وجمعيات خيرية هدفها الأول إغاثة فلسطين، وهذا هو جهدنا.. فعفواً غزة.■

www.mugtama.com

رحل في مثل هذا الشهر (10 سبتمبر 2018م)..

إبراهيم عبدالله الكفيف العجمي

كتب- عادل العصفور:

ولد الشيخ إبراهيم عبدالله الكفيف العجمي في 9 أكتوبر 1960م بالكويت، وكان والده من أوائل مَنْ حفظ القرآن الكريم في أهله بذلك الوقت، فنشأ ابنه إبراهيم في هذه البيئة وترعرع بين القرآن وأهله.

وقد عرف عنه وصله لأرحامه وبره بوالديه، وكان مضرب المثل في هذا؛ فقد عاشت والدته لعدة سنوات وهي مصابة بالخرف، وتكاد لا تعرف أحداً، ولكنه كان باراً بها، وكأنها تعرفه مثل ما كانت رحمهما الله جميعاً.

إنجازاته ومآثره:

كان الشيخ إبراهيم مقدماً للبرامج في «إذاعة القرآن الكريم»، وكان يشارك في تقديم البرنامج المعروف حتى الآن «تباشير الصباح»، الذي له الأثر الطيب والنافع على المجتمع، وكانت له أصداء طيبة.

ومن أعماله أنه أصدر ألبوم «قصص الأنبياء»، وكان له رواج طيب في دول الخليج العربي في ذلك الوقت.

وقد استضافته مؤسسة عيد بن محمد آل ثاني الخيرية في رابع فعاليات حملة ركاز قطر الجماهيرية «كلامك.. عنوانك»، وذلك في لقاء جماهيري.

كان حريصاً على الحج في كل عام، فقد حج ما يقارب 20 حجة، كان فيها مرشداً ومعلماً للحجاج الذين معه.

تقول شقيقته: أذكر في يوم من الأيام أني التقيت بامرأة جاءت لحاجة، فعرّفتها بنفسي، فلما علمت أنني أخت الشيخ إبراهيم الكفيف طارت من الفرح، ومن صدفة اللقاء المفاجئ! وقالت: إني أدعو ربي أن ألتقي بأحد قريب من الشيخ لأروي له ما عندي، واستطردت قائلة: أنا إحدى المصليات في مسجد الشيخ (مسجد بيبي البدر) في الصباحية، وقد رأيت فيه رؤيا وأحسبها عند الله كذلك، وأريدك أن توصليها للشيخ.

فروت لي الرؤيا قائلة: كأننا والساعة قامت والناس متطايرون، والأرض ليست الأرض، والأهوال من كل مكان حولنا، والكل يتراكض لا يعلم المصير ولا إلى أين اللجوء، وكل شيء ليس له قرار، وأنا أجري مثل كل الناس حتى ساقتني قدماي إلى مكان عليه حفظة، فقالت لي نفسي: ادخلي الحوض لتأمني من الهول والتعب، فدخلت ولله الحمد دون عائق، وإذا بي فيما يقارب الجنة ويشابهها حوض كبير لا حد له، والكل من حوله ومن أطرافه يرشفون، وإذا بعيني تقع على رجل في وسط الحوض، تبارك الله يأخذ من ماء الحوض ويغسل به جسمه من رأسه إلى سائر بدنه بكل رضا وحمد لله سبحانه.

فتبادر إلى ذهني السؤال: من يكون هذا الرجل؟ فإذا بهاتف يقول لي: ما عرفته؟ هذا هو الشيخ إبراهيم الكفيف.

كان، رحمه الله تعالى، يكثر من ترديد هذا المعنى الذي ورد عن بعض السلف: «إذا رأيت الناس يعجبون بك؛ فاعلم أنهم يعجبون بجميل أظهره الله منك».

وقد انتقل الشيخ إبراهيم الكفيف إلى جوار ربه في يوم السبت 10 سبتمبر 2018م، رحمه الله وتقبله في الصالحين.■

www.mugtama.com

المشرف العام للأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه بـ«الإصلاح الاجتماعي» أحمد الشيحة لـ«المجتمع»:

رسالتنا التميز في إدارة الحلقات القرآنية

أكدت الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه بجمعية الإصلاح الاجتماعي أنها تسعى إلى التميز في إدارة الحلقات القرآنية، وصولاً إلى الشخصية القرآنية الحافظة لكتاب الله قولاً وعملاً.

وأشار المشرف العام للأمانة الأستاذ أحمد الشيحة، في حوار مع «المجتمع»، إلى أن الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه استمرت في أنشطتها خلال أزمة «كورونا» عبر «أونلاين»، وقدمت للمجتمع عدة برامج بما يحقق تنمية مهارات المهتمين بحفظ ودراسة القرآن الكريم والتفاعل معهم.

حوار - سعد النشوان:

● متى تأسست الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه في جمعية الإصلاح الاجتماعي؟ وما أهدافها؟

- تأسست الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه بجمعية الإصلاح في سبتمبر 2008م.

وقد وضعت الأمانة عدة أهداف لتحقيق رؤيتها المتمثلة بالريادة والإبداع في جميع المناشط القرآنية، ويمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

1 - مساعدة الشباب على حفظ كتاب الله عز وجل وتلاوته وتجويده.

2 - التنسيق بين مراكز وبيوت وحلقات حفظ القرآن الكريم.

3 - التواصل مع المؤسسات القرآنية والشرعية الحكومية والأهلية.

4 - تحقيق أهداف قطاع الصحبة الصالحة والنشء الإسلامي المتعلقة بحفظ القرآن الكريم والتثقيف الشرعي.

5 - استثمار المشاريع تربوياً وشرعياً لتنمية الشباب وتثقيفهم.

6 - دفع عملية التثقيف الشرعي المنهجي في قطاع الصحبة الصالحة والنشء الإسلامي لتحقيق المستوى المنشود.

7 - تبني واحتضان المشاريع القرآنية على مستوى المحافظات.

8 - إبراز دور جمعية الإصلاح الاجتماعي في المشاركة بمسابقات القرآن في الداخل والخارج.

● هل للأمانة أفرع في محافظات الكويت؟

- نعم، الأمانة العامة للقرآن الكريم وعلومه تعمل في جميع محافظات الكويت، وتتعاون مع جهات مشابهة لها بالعمل؛ مثل «أجيال القرآن» في مبارك الكبير، و«بيت القرآن» في كيفان والفحيحيل، و«منابر النور» في الفروانية.

● ما أبرز مشاركات الأمانة في المسابقات المحلية بالكويت والدولية بالخارج؟

- الأمانة منذ تأسيسها وهي تشارك في مسابقة سمو الأمير السنوية، وقد حصلت على المركز الأول عام 2007م، وأيضاً على المركزين الثاني والثالث خلال السنوات الماضية، والعام الماضي حصلت كذلك على المركز البرونزي، أما المشاركات الخارجية فقد شارك بعض المنتسبين للأمانة في مسابقات فردية مثل الشيخ خالد الجهيم وغيره.

● هل للأمانة فرع نسائي؟

- نعم، موجود في المركز الوقفي بمنطقة «الرحاب» برئاسة الأخت فتوح الزير.

● ماذا قدمت الأمانة للمجتمع الكويتي خلال أزمة «كورونا»؟

- قمنا بعدة برامج، منها:

1 - مسابقة أعذب التلاوات.

2 - احفظ وراجع حفظك «أونلاين».

3 - مسابقة ثقافية «أونلاين 1».

4 - مسابقة ثقافية «أونلاين 2».

5 - دورة محفظ في كل بيت.

● هل يوجد لديكم مشروع ختمة بالسند النبوي؟

- نعم، عندنا حلقات الحفاظ الدائمة، ويوجد عدد لا بأس به سوف يختم القرآن في الأشهر القادمة، إن شاء الله تعالى، ويأخذ السند من المشايخ المعتمدين.

● ألا يوجد لكم نشاط خارجي للأمانة؛ مثلاً إرسال الطلاب إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة لختم القرآن؟

- نعم، هناك تعاون وثيق مع مركز تاج الوالدين سنوياً لدعم رحلة المدينة المنورة.

● هل المحفظون من الشباب الكويتي؟

- حالياً لا يوجد، ونسعى في المستقبل القريب أن يكون عندنا محفظون كويتيون قريبون من عادات وتقاليد الوطن، ولنا تجربة في بعض المحفظين الكويتيين أثناء جائحة «كورونا» في مشروع «احفظ وراجع أونلاين» في رمضان، وقد نالت هذه التجربة استحسان مجلس الإدارة.

● كم حافظاً لديكم؟

- الحلقات لدينا تنقسم إلى جزأين:

الأول: الحلقات التمهيدية، وتضم 20 حلقة موزعة على جميع المحافظات بدولة الكويت، وعدد المشاركين 350.

الثاني: حلقات الحفاظ، وتضم 5 حلقات موزعة على 5 محافظات من أصل 6، وعدد المشاركين 80.

● رسالة أخيرة توجهها من خلال «المجتمع».

- أحث الآباء والأمهات على تسجيل أولادهم في حلقات أمانة القرآن، وأيضاً المشاركة في المسابقات الأهلية والحكومية.■

مقال

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

الإمام الرافعي

عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن الفضل بن الحسن القَزْوِينيّ الإمام الجليل أبو القاسم الرافعيّ، صاحب الشرح الكبير المُسَمَّى بـ«العزيز»، وقد تورَّع بعضُهم عن إطلاق لفظ العزيز مجرَّداً على غير كتاب الله، فقال: «الفتح العزيز في شرح الوجيز»، و«الشرح الصغير»، و«المُحَرَّر»، و«شرح مُسْنَد الشافعي».

كان الإمام الرافعيُّ متضلِّعاً من علوم الشريعة، تفسيراً وحديثاً وأصولاً، مترفِّعاً على أبناء جنسه في زمانه، نَقْلاً وبَحْثاً وإرشاداً وتحصيلاً، وأما الفقه فهو فيه عُمدة المحقِّقين، وأستاذ المصنِّفين، كأنما كان الفقه ميِّتاً فأحياه وأنْشَره، وأقام عمادَه بعدما أماته الجهلُ فأقْبَره، كان فيه بدراً يتوارى عنه البدر إذا دارت به دائرته والشمس إذا ضَمّها أُفْقُها، وجَواداً لا يلحقه الجَوادُ إذا سلك طُرُقاً ينقل فيها أقوالاً ويُخَرِّج أوْجُها، فكأنما عناه البُحْتُريّ بقوله:

وإذا دَجَتْ أقْلامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ
بَرَقَتْ مَصابِيحُ الدُّجا في كُتُبِه

وكان يرحمه الله وَرِعاً زاهداً تقياً طاهرَ الذَّيْل مُراقباً لله تعالى.

سمع الحديث من جماعة، منهم أبوه، وأبو حامد عبدالله بن أبي الفتوح بن عثمان العِمْرانيّ، والخطيب أبو نصر حامد بن محمود الماوراء النَّهريّ، والحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطّار الهَمَذانيّ.

روى عنه الحافظ عبدالعظيم المُنْذريّ، وغيرُه.

قال ابن الصَّلاح: أظن أني لم أرَ في بلاد العَجَم مثلَه.

وقال النَّوويّ: الرَّافعيُّ من الصالحين المتمكِّنين، كانت له كراماتٌ كثيرة.

وقال أبو عبدالله محمد بن محمد الإسْفَرايينيّ: هو شيخُنا، إمامُ الدِّين، وناصر السُّنّة، كان أوحدَ عَصْره في العلوم الدِّينيّة؛ أُصولاً وفُروعاً، فريد وقته في التفسير، كان له مجلسٌ بقَزْوِينَ للتفسير ولتسميع الحديث. (انتهى كلامه)[1].

وإن خُوارَزْم شاه، يعني جلال الدين، غزا الكَرَج بتَفْلِسَ، في هذه السنة، وقتل فيهم بنفسه حتَّى جَمَد الدَّمُ على يده، فلما مرَّ بقَزْوِينَ خرج إليه الرافعيُّ، فلما دخل إليه أكرمه إكراماً عظيماً، فقال له الرافعيُّ: سمعتُ أنك قاتلتَ الكفّارَ متى جمَد الدَّمُ على يدك، فأُحبّ أن تُخْرِجَ إليَّ يدَك لأُقبِّلَها، فقال له السُّلطان: بل أنا أُحبّ أن أقبِّلَ يدَك، فقبَّل السُّلطانُ يدَه، وتحادَثا، ثم خرج الشيخ وركب دابَّتَه، وسار قليلاً، فعثرت به الدابّةُ، فوقع فتأذَّت يدُه التي قبَّلها السُّلطان، فقال الشيخ: سُبْحانَ الله، لقد قبَّل هذا السّلطانُ يدي، فحصل في نفسي شيءٌ من العَظَمة، فعُوقِبْت في الوقت بهذه العقوبة.

سمعت شيخَنا شَمْسَ الدِّين محمد بن أبي بكر بن النَّقيب، يحكي أن الرافعيَّ فقَد في بعض اللّيالي ما يُسْرِجُه عليه وقتَ التصنيف، فأضاءت له شجرةٌ في بيته.

تُوُفِّيَ في ذي القَعْدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة[2].

الفوائد التربوية والإيمانية:

- الطهارة والورع والتقوى والمراقبة لله تعالى معالم نور وهدى في حياة علمائنا الأجلال؛ إذ لا تكاد تخلو سيرة أحدهم من هذه المعالم البارزة والمعاني السامية، فهي الخطوة الأولى إلى الفتح العزيز ورياض الصالحين والروض المربع ودار السعادة بل إلى أفراح الروح!

- المجلس التربوي للعالم الرباني وسيلة للتعليم الرباني والتواصل الاجتماعي والتذكير الإيماني، فقد كانت حياة العلماء حافلة بالمجالس التربوية، وكلما حرص عليها الدعاة المربون ارتقت أرواحهم وسمت أخلاقهم ونجحوا في تربيتهم لأنفسهم وللناس، بل وتَجَدَّدَ إيمانهم وَزكَى علمُهم وعملُهم وفقهوا دينهم.

- تقدير العلماء الربانيين للجهاد والمجاهدين، واحترام الولاة والحكام للعلماء الربانيين؛ بهذه تنمو الأمة ويسودها الأمن والأمان بمنهج أخلاقي يراه الناس في أعينهم بين العلماء والأمراء.

- ضرورة نشر علم الفقه بين الناس حتى يُعرف الحلال من الحرام، وتُعرف به أحكام الدين والشريعة، وحتى لا يتجرأ الجهال والغلاة على التحليل والتحريم والفتيا.

- حرص العلماء على نشر علمي التفسير والحديث؛ إذ بهما يُعرَف كتاب الله تعالى وسُنة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

- معرفة العلماء لأنفسهم ومراقبة آفاتها وضعفها وأهوائها وحرصهم على تربية أنفسهم.

- إتقان العلماء للعلوم يأتي بعد شدة طلب وقوة تحمل وصبر عظيم وسعي للأكابر من الأئمة والعلماء الراسخين في العلم.

- للعلماء والصالحين كرامات يظهرها على أيديهم إذا شاء سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامشان

(1) بتصرف.

(2) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.

www.mugtama.com

التغريب.. وخطره على الأمة

يعد «التغريب» من المصطلحات التي تعددت تعريفاتها، ودراساتها، وتنوعت زوايا تناولها؛ نظراً لما يمثله من خطورة على هوية الأمة من حيث التصور والاعتقاد، خاصة بعد أن خرج الاحتلال الغربي لبلادنا بجنوده وأجساده، وترك فينا مفاهيمه وأفكاره.

ولعل من أخطر التصورات التي طغت على عقول الكثير من أبناء الأمة ومثقفيها -للأسف- هو هذا الخلط بين مفهوم التغريب (بما يعنيه من استلاب كامل للغرب حلوه ومره، خيره وشره)، ومفهوم التطور أو الحداثة؛ حيث ساد الاعتقاد بأن الأول شرط للثاني، وأن الثاني نتيجة للأول؛ وهو ما ترتب عليه فقد الثقة في الذات وتسليم زمامنا للغرب يجرنا خلفه حسبما يسير.

وإزاء هذا الأمر، كان لا بد من إفاقة للعقول، وتصحيح للمفاهيم، ودق لنواقيس الخطر، من خلال هذا الملف الذي تساهم به «المجتمع» قياماً بواجبها الإعلامي الذي تقدم فيه الموضوعات التالية:

- التغريب.. ومخاطره على الأمة.
- جذور التغريب في التعليم الحديث بالعالم الإسلامي.
- التغريب.. والاقتصاد الإسلامي.
- التشريع.. من ضيق التغريب إلى رحابة الإسلام.
- السينما العربية والتغريب.. واقع الصناعة وأبعاد التأثير.
- كلمة في «تغريب» الفكر السياسي.
- الأسرة والتغريب.. بين الأمس واليوم.■

التغريب.. ومخاطره على الأمة

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

التغريب نسخة شبه سلمية من الاستعمار الغربي، حيث تصمت قعقعة السلاح وتتوقف الوحشية الغربية مؤقتاً، لتقوم الطلائع الأوروبية الناعمة والوكلاء المحليون الخشنون بالدور الاحتلالي المطلوب في إخضاع السكان العرب والمسلمين لثقافة الغرب الهمجية والاستسلام لفكره وإرادته، والدفاع عن جرائمه ومخططاته، فالتغريب ليس مجرد ارتداء القميص والسروال والسترة الأوروبية، أو استخدام الشوكة والسكين عند تناول الطعام، وتناول المشروبات المحرمة، ومراقصة النساء للرجال في الحفلات، ولكنه أعمق من ذلك؛ إنه تشرُّب الروح الغربية الوثنية المعادية للإسلام والأخلاق والإنسانية، وإن تزيّت بأزياء رقيقة مهذبة.

غاية التغريب بالنسبة للمسلمين أن يتحولوا من دينهم إلى الوثنية الغربية التي تنسى الله الواحد وتعبد المادة والشهوة، وتستنيم إلى الكسل، فليس في منهج التغريب أن يعمل المسلمون وينتجوا ويكتفوا ذاتياً من الغذاء والدواء والسلاح، إن غاية غاياته أن يعيش المسلم متسوّلاً على باب الغرب، ليمنحه عطاء رديئاً أو لا يمنحه شيئاً على الإطلاق.

التغريب هو التبعية المطلقة للغرب في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة، وهي تبعية العبد لسيده الذي يأتمر بأمره، دون أن يستطيع أن يقرر لنفسه شيئاً، والتغريب لا يعلن عن نفسه مباشرة، ولكنه يتسلل تحت شعارات ومصطلحات مراوغة يتقبلها الناس بسهولة، مثل الحرية وتحرير المرأة والتطور والحداثة والعلمانية والتنوير والسلام والعولمة والشركات عابرة القارات..

ينبهر البسطاء بهذه المصطلحات وأمثالها، فيستسلمون لمدلولها السطحي، ويتجاهلون عمقها الخفي الذي يقصده التغريب وصنّاعه، هل هناك أحد يرفض الحرية وتحرير المرأة مثلاً؟ بالطبع لا.. ولكن صناع التغريب يلحّون على الحرية الفردية المنفلتة، وتحرير المرأة من قيود الأسرة والالتزام الديني والخلقي، ليتجاهل الناس حرية الأوطان واستقلالها وقدرتها على بناء نفسها وقوتها وصناعة مستقبلها بيدها وعقلها وفكرها ومصالحها، فتظل محتلة بقوة السلاح أو قوة القروض أو قوة الاحتياج إلى الغير.

الفكر والمرتكز

ترتكز فكرة التغريب على مقولة: إن «الغرب هو مصدر الحضارة»، وهذه المقولة فيها نظر، فالحضارة تختلف عن المدنية، فالمدنية هي الشق المادي للحضارة، ويشمل الآلة والبناء والنظم والصناعة والزراعة والسلاح والاختراع، الحضارة لها شق آخر هو الشق المعنوي الذي يشمل الدين والقيم والأخلاق والتاريخ والتراث والتقاليد.. والغرب لا يقدم شيئاً ذا بال في هذا الشق، حيث يحفظ له الناس فيضاً من العنصرية والوحشية والحروب الدموية الاستئصالية، وقليلاً من التراث الوثني والفنون المعبرة عن الجوع المادي، صحيح أنه يملك الآن أسرار العلم التي ارتكزت على ما أنتجته الحضارات الشرقية من قبل، ولكنه لا يملك الروح الإنسانية التي تجعله بريئاً من الآثام والخطايا التي لا تسقط بالتقادم.

والقضية -من وجهة نظري- لا تكمن في التغريب بقدر ما ترتبط بالاستجابة له، وبقدر مقاومته يتجلى الأمل في المستقبل الطيب القائم على الحرية والكرامة والعدل والاستقرار، ولدينا أمثلة عديدة على عملية المقاومة للتغريب، أكتفي باثنين فقط:

الأول: في اليابان؛ حيث خرجت من الحرب العالمية الثانية مدمرة، ولكنها قررت المقاومة وفقاً لتراثها القديم وهويتها الذاتية.

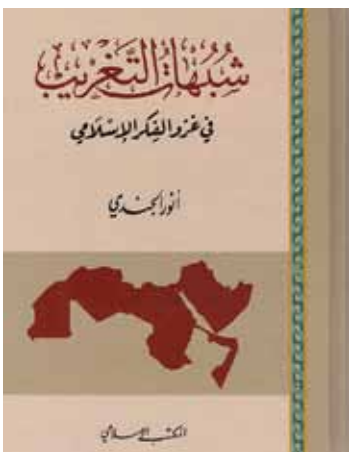

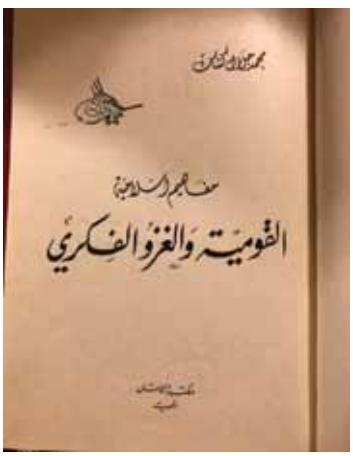

الناس يحفظون للغرب فيضاً من العنصرية والوحشية والحروب الدموية الاستئصالية وقليلاً من التراث الوثني

مع انتهاء الحروب الصليبية نشطت عملية التغريب بمصر والشام وأفريقيا والخليج بحركة متفاوتة

عقب الحرب تنازع اليابان تياران؛ أحدهما يؤيد تقليد الغرب تماماً والتخلي عن الهوية والتراث، والآخر يقاوم ويرفض تقليد الغرب، وقد انتصر الفريق المقاوم، الذي اهتم باللغة اليابانية والنظام الملكي والحصول على العلم من المصادر الغربية بكل الوسائل، لدرجة أن بعض علماء اليابان اشتغلوا خدماً لدى بعض العلماء والباحثين في أوروبا ليحصلوا على المعارف الممنوعة.

ومع العزيمة والصبر ومراعاة الأولويات ونبذ الحروب، استطاع اليابانيون أن يناطحوا الغرب وأمريكا اقتصادياً وعلمياً وإدارياً، مع احتفاظهم بهويتهم ولغتهم وتقاليدهم.

المثال الآخر: فلسطين المحتلة؛ حيث استطاع الصهاينة الغزاة أن يقاوموا الذوبان في الغرب مع أنهم جماعات شتى، وثقافة معظمهم في الأصل غربية؛ لأن أكثريتهم جاءت في ثوب الغزاة من أنحاء أوروبا وأمريكا وروسيا (وما حولها من العرق الخزري)، لقد بعثوا لغة ميتة هي العبرية عمرها أربعة آلاف سنة، وجعلوها لغة التخاطب والعلم والثقافة والسياسة والفنون، وأيقظوا العصبية اليهودية، بحيث صارت مرجعاً للتشريع والعمل والسلوك والقتال والتفاوض، وأغدقوا على من يدرس الشريعة اليهودية امتيازات مغرية، والمفارقة أنهم صنعوا من شظايا الأساطير والخرافات تراثاً حضارياً كما يزعمون يواجهون به العالم!

ومن خلال بناء هوية مستقلة، أمكنهم أن يقيموا كياناً قوياً يشبه الكيانات الأوروبية، ولكنه ليس منها لأنه يملك شخصية مختلفة،

الحكمة في الحضارة الإسلامية تتسع لتضم كل ما يعود بالفائدة على المسلمين وليس ما يخرجهم من دينهم

التغريب في أمتنا المنكوبة وصل ببعض النخب إلى حد جعل الإسلام قريناً للإرهاب والتطرف

فهو متقدم علمياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، ولكنه يظهر بهويّة يهودية، بينما الآخرون من حوله في وضع المريض الذي يحتاج إلى رثاء حزين!

الغراب والحمامة

الاستجابة على المستوى العربي والإسلامي للتغريب كانت فاجعة، ما يذكّر بالمثل الذي كان يدرس لنا في المرحلة الأولية قبل سبعين عاماً عن الغراب الذي أراد أن يكون حمامة، فلا بقي غراباً يحتفظ بخصائصه، ولا استطاع أن يكون حمامة!

لقد نجح الغرب في تصنيع نخب عربية وإسلامية وفق متطلباته، عملت بهمة ونشاط في التفريط بهويتها ودينها ولغتها وتراثها وتقاليدها، وسمحت له أن يتدخل في أدق تفاصيل أمورها ومصائرها ومستقبلها، وأن يرسم لها الطريق الذي يريد هو لا الذي تريد هي، فكانت معرّة العالمين!

مع انتهاء موجة الحرب الصليبية التاسعة بإخفاق «نابليون» في غزو مصر (1798م)، نشطت عملية التغريب في مصر والشام وشمال أفريقيا والخليج بحركة متفاوتة، أسرعها كان في مصر؛ حيث بدت طلائع المستشرقين وإرساليات التبشير (التنصير) تغزو وادي النيل والشام بصورة مكثفة، وتبدأ في التأليف والتحقيق وإنشاء المدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية، وهو ما توافق مع البدء في حركة تفكيك الخلافة العثمانية من خلال الحركات السرية وجمعيات المعارضة والماسونية والأحزاب الشيوعية، وتجنيد الوكلاء المحليين الذين يحملون أسماء إسلامية أو طائفية، وساعدت البعثات إلى أوروبا وانتشار المطبعة والصحافة على حمل معطيات التغريب وعناصره، وبدلاً من الالتفات لبناء الشق المادي في الحضارة ونقل المسلمين من حال الضعف إلى مجال القوة، انغمست النخب في معارك جانبية كان معظمها يصبّ في تدمير الشق المعنوي الذي تملكه الأمة، وفي مقدمته الإسلام للأسف الشديد!

عندما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13)، فقد جعل التعارف بمعناه الأشمل يتجاوز معرفة الحساب والأنساب، إلى تبادل المنافع والمصالح واكتساب الخبرات، وهو ما عبر عنه الأثر «اطلبوا الحكمة ولو في الصين»؛ فمعنى الحكمة يتسع ليضم كل ما يعود بالفائدة على المسلمين، وليس ما يخرجهم من دينهم وهويتهم، فالآية فيما بعد تشير إلى التفاضل بالتقوى، أي التزام الدين.

ولعل أوضح تطبيق لذلك كان في إنشاء الدواوين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقليداً للنظام الفارسي بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية، وتشعبت مصالحها، واحتاجت إلى تنظيم إدارة الدولة (ديوان المال، ديوان الجند، ديوان البريد، ديوان الحسبة..)، لم يجد المسلمون في ذلك غضاضة أو مخالفة لأمور دينهم، ولكن حين تجد من يقول لك: علينا أن نمنح الحرية للواط والدعارة والعلاقة خارج الزواج تأسياً بما يفعله الغرب المتقدم، فهذا نوع من

التضليل والتدليس، فالغرب ليس متقدماً في هذا السياق، ثم إنه مخالف للنصوص الإسلامية القطعية الصريحة، والغريب أنك لا تسمع واحداً من هؤلاء يتحدث مثلاً عن كيفية الاكتفاء الذاتي من القمح أو الفول أو الأرز أو اللحوم أو نحوها مما يستوجب العمل والجهد، وقطع الطريق على دول الابتزاز التي يمكن أن تقتل المسلم جوعاً.

لقد وصل التغريب في أمتنا المنكوبة ببعض النخب إلى حد جعل الإسلام قريناً للإرهاب والتشدد والتطرف، وهو ما لا يوصف به معتقد آخر، في بورما أو الهند أو الدول الأوروبية أو أمريكا التي يمارس فيها الإرهابيون غير المسلمين نشاطهم على أساس ديني.

مجالات التغريب

ويمكن أن نوجز مجالات التغريب في معظم بلادنا الإسلامية من خلال نقاط قليلة:

أولاً: في المجال السياسي: صار الإسلام خارج الوظيفة السياسية، فالعلاقات الدبلوماسية والسياسية بين المسلمين تقوم على أساس التصوّر الغربي والتقاليد الغربية، وقد عبر أحد السياسيين العرب ذات يوم بقوله: «لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة»؛ ومعنى ذلك أن تقبل أي اتفاق أو معاهدة أو قانون ولو كان مخالفاً للدين، وللأسف لا تضع دولنا الإسلامية اعتباراً للثوابت الإسلامية في العلاقات والتفاوض، بينما اليهود يرفعون التوراة في وجه المفاوض المسلم وغيره، ولا يتزحزحون عنها ولو كانت أساطير زائفة، أما عندنا فأبسط الأمثلة أن كثيراً من سفاراتنا الإسلامية في الخارج تقدم الخمور في احتفالاتها، وتسمح بما يريده الآخرون في هذه الاحتفالات من سلوكيات مرفوضة إسلامياً.

ثانياً: التعليم: صار التعليم تقليداً كاريكاتورياً لتعليم الغرب، تتداخل فيه البيروقراطية، وتزييف التاريخ والجغرافيا، والاستهانة باللغة القومية، وتهميش الإسلام أو إقصاؤه، وهناك مندوبون من بعض الدول الغربية يشرفون أو يتابعون المناهج العربية والإسلامية في بعض الدول العربية، وقد نُقل عن صحفي صليبي زار بعض الكتاتيب التي تحفّظ القرآن في باكستان، قوله: «هنا تزدهر مصانع الإرهاب»!

دولنا لا تضع اعتباراً للثوابت الإسلامية في العلاقات بينما يرفع اليهود التوراة بوجه المفاوض

التعليم صار تقليداً كاريكاتورياً للغرب تتداخل فيه البيروقراطية وتزييف التاريخ والجغرافيا والاستهانة باللغة وتهميش الإسلام

ثالثاً: اللغة العربية: أصبحت اللغة العربية تمثل في الوجدان العام -خاصة الأجيال الجديدة- حالة من الفولكلور السخيف الذي ينبغي تجاهله، وقد نجحت السينما والدراما والمسرح الكوميدي في تحقيرها وازدرائها بتصويرها في حالة التقعر والتشدق، خاصة حين يستخدم الممثلون ألفاظاً مهجورة لا يفهم الجمهور معناها، ومع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، والفضائيات، والنزعات الشعوبية شاع استخدام الألفاظ الأجنبية والعاميات وامتدت إلى الخطب والصحف، وما يعرف بالشعر الشعبي مما يسهم في إبعاد الجمهور عن الفصحى وتذوق جمالياتها، وكثيراً ما تصادف من يحدثك ببعض العبارات الأجنبية المخلوطة بالعامية ازدراء للعربية.

رابعاً: الفنون التمثيلية خاصة السينما والمسرح والدراما: في هذه الفنون تتسلل القيم بنعومة إلى الجمهور، فمن يرى مثلاً فيلماً سينمائياً، تعيش فيه الشخصيات التي لا تعرف الوضوء ولا السجود، وتسكن بيتاً فيه ركن للبار والمنكر بوصف ذلك أمراً عادياً، وعندما يتأزم الموقف بالبطل لأمر ما لا يذهب إلى المسجد وإنما يتجه إلى الملهى الليلي (الكباريه)، حيث الشرب والسكر والعربدة والرقص والمجون، البطل لا يذكر الله ولا يعرف شيئاً عن الإسلام، فيظن المشاهدون أن الحياة الصحيحة هي حياة البطل، الذي يمارس حياة شبه حيوانية تتعرى فيها النساء اللاتي يقمن علاقات حرة مع الرجال.

خامساً: الاقتصاد: يأخذ التغريب في هذا الجانب منحى خطيراً يكاد يذهب بوجود الدول وتماسكها، فهو اقتصاد ربوي يعتمد على الإقراض لا الإنتاج، على مستوى الدولة والأفراد، فالغرب الصليبي الاستعماري يشجع الدول الإسلامية على الاقتراض من دول غنية أو مؤسسات عالمية أو بنوك دولية، ويفرض المقترض شروطه التي تجعل هذه القروض لا تذهب للشعوب المسلمة المسكينة، بل تتقاسمها جهات من الدول أو المؤسسات المانحة، وجهات ومسؤولين من الجهات والدول المقترضة، وما يتبقى بعدئذ عليه أن يدبر تسديد الفوائد المركبة التي تتجاوز أحياناً قيمة القرض الذي قد يتولاها فاسدون، وتجعل البلاد التي تمد يدها تدور في دائرة مفرغة، إلى ما شاء الله، ولا يفيد المواطنون من القرض شيئاً ذا بال.

إذا تحدثت عن اقتصاد إسلامي يعمل وينتج ويؤسس، قالوا: كلا، نحن نخضع لنظام عالمي لا نستطيع الفكاك منه!

سادساً: الثقافة والدعاية: تعمل أجهزة الثقافة والدعاية التي يقودها شيوعيون وناصريون وليبراليون وطائفيون وأشباههم بإلحاح على قضايا من قبيل فصل الدين عن الدولة، والعلمانية والتنوير والحداثة، وبعث الحضارات القديمة بوصفها الهوية الأساسية للشعوب الإسلامية وليس الإسلام.. وغير ذلك من قضايا، والهدف منها هو إقصاء الإسلام، واستئصاله.

إن هذه الأجهزة تبث على مدار الساعة أضاليلها دون أن يجد المسلمون فرصة للرد والحوار والمناقشة، لدرجة أن مسؤولاً كبيراً في مؤسسة إسلامية شهيرة اشتكى أنه لا يستطيع أن يرد على ما يثار حول الإسلام، ولا تتاح له فرصة الظهور على الشاشات المهاجمة، ويشارك في حملات التغريب نفر من الطائفيين الذين يجمعون إلى التعصب قدرة عجيبة على الكذب والتدليس، ومع ذلك تتاح لهم فرصة التعبير على المنابر التلفزيونية والإذاعية والصحفية وغيرها.

يستفيض الحديث عن التغريب وآثاره المدمرة التي تنتهي إلى ضياع المسلم فرداً ودولة، وكان «لورنس براون» صريحاً حين قال: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي؛ ولهذا فلا بد من الدعوة إلى أن يطبع المسلمون بالطابع الغربي».■

www.mugtama.com

جذور التغريب في التعليم الحديث بالعالم الإسلامي

أ.د. حسان عبدالله
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط- مصر

نتناول في هذه المقالة بدايات التغريب في التعليم الحديث بالعالم الإسلامي، من خلال ثلاثة نماذج شكلت عبر التاريخ الإسلامي روافد رئيسة للحضارة الإسلامية؛ هي تركيا ومصر وإيران؛ في محاولة لتتبع الاختراقات المعرفية للتغريب في المنظومة القيمية المسؤولة عن تشكيل الشخصية المسلمة.

يبدأ المشهد الفكري من حالة الضعف الذاتي الذي كانت تعاني منه الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر دون أن يكون هناك إدراك حقيقي من قِبَل السلطة الحاكمة لهذا الضعف، ويرجع ذلك لعاملين:

الأول: أن التفوق الأوروبي لم يكن بارزاً بالصورة التي تشكل خطراً واضحاً على الدولة العثمانية الذي برز لاحقاً في القرن التاسع عشر.

الثاني: يتمثل في كون الدولة العثمانية لا تزال في تصنيف الدول العظمى (أو الإمبراطوريات الكبرى)، هذا التصنيف الذي بدأ بالتراجع في التاريخ المذكور.

في ظل اهتمام الدولة العثمانية بالتعليم العسكري في بدء الاتصال بالغرب لم يتم الالتفات إلى التعليم الديني

المدارس الدينية الإسلامية ظلت تقدم لطلابها الثقافة الدينية التقليدية اعتماداً على ما كان لديها من أوقاف

مع تنامي الضعف داخل الدولة العثمانية واستمرار التفوق المادي الأوروبي في الصعود، لم يجد السلاطين العثمانيون إلا الخيار الأقرب والأسهل في تصورهم لمعالجة القصور والضعف من ناحية، واللحاق بالصعود الأوروبي أو تقليل الهوة من ناحية أخرى، وكان هذا الخيار هو «النقل والاقتباس»، أو استيراد أفكار النهضة والتقدم بدلاً من معالجة المثالب والعيوب الذاتية، وقد بدأ استخدام هذا النهج فيما يتعلق بالمجال العسكري الذي لاقت فيه الإمبراطورية هزائم متعددة من الداخل والخارج، وكانت هذه البداية في عهد السلطان مصطفى الثالث (1757 – 1773م)، حيث «تم استحضار النموذج الأوروبي الحديث، واستمر هذا الاهتمام بالمجال العسكري أساساً لسلاطين الدولة العثمانية؛ لتستطيع الدفاع عن نفسها وسط إرهاصات التفوق العسكري الأوروبي، وذلك حتى مجيء السلطان محمود الثاني حيث شملت إصلاحاته جوانب إدارية وتعليمية أخرى على النظام الأوروبي»[1].

بين التعليم الديني والعسكري

وفيما يتعلق بنظام التعليم المسؤول عن التشكيل المعرفي للإنسان داخل المجتمع، وفي ضوء التغلغل الواضح لحركة التغريب؛ نجد -كما يشير «جوستين ماكارثي»- أن التغيير (الناتج عن التغريب) الأكثر تأثيراً نتج عن النظام التربوي الأوروبي؛ «فكتب الحساب والمثلثات الضرورية للهندسة العسكرية والمدفعية كانت مكتوبة باللغات الأوروبية، وخاصة الفرنسية لغة القرن التاسع عشر في أوروبا، والتعليمات لتشغيل الآلات وكتيبات التصليح كانت أيضاً باللغات الأوروبية»[2]، «كما بدل السلطان محمود التوجه الألسني للحكومة، وأعطيت مكاتب الحكومة تعليمات بفتح أكثر المدارس نجاحاً؛ (مثل) مكتب الترجمة التابع لوزارة الخارجية الذي أسس عام 1833م، ولم يخرج هذا المكتب مترجمين فحسب، وإنما ساهم في تدريب الإداريين الذين اكتسبوا توجهات غربية، وفتحت اللغة أمام الإداريين العثمانيين وكبار الرسميين باب الثقافة الأوروبية، وبسرعة أصبح خريجو مكتب الترجمة قادة السلطة التنفيذية في الدولة»[3].

ومن ناحية أخرى، نلاحظ أنه في ظل

التغريب..
وخطره على الأمة

الاهتمام بالتعليم العسكري في بدء الاتصال بالغرب لم يتم الالتفات إلى التعليم الديني، «فالنظام التعليمي الحديث تمركز في مجالين؛ أحدهما عسكري والآخر مدني هدفه مد الجيش والإدارة بالكوادر اللازمة لهما، وفي حدود حاجة الدولة للعمالة في كل قطاع، وكان التعليم العسكري أيسر منالاً في ولايات العراق والشام من التعليم المدني الذي كان القبول فيه يتطلب فرزاً اجتماعياً دقيقاً جعله مقصوراً على أبناء الأعيان، بينما ظلت المدارس الدينية الإسلامية تقدم لطلابها الثقافة الدينية التقليدية، اعتماداً على ما كان لديها من أوقاف تدر عليها من أبناء الطبقتين الفقيرة والوسطى، وظلت تلك المدارس –في معظمها– تقدم تعليماً دينياً لم يتأثر بالاتجاهات الإصلاحية الحديثة، وإلى جانب هذين النظامين قام نظام تعليمي ثالث، قدمته مدارس الإرساليات التبشيرية على اختلاف مذاهبها[4].

المدارس العلمانية

كما انتشرت المدارس العلمانية التي تخرج أصحاب المهن اللازمة لتلبية احتياجات الجيش الجديد الذي كونه باسم العساكر المحمدية المنصورة، واحتياجات المجتمع، كما تأسست المدارس الإعدادية (الرشيدية) لتخريج معلمي المدارس الابتدائية، والمدارس الفنية لتنشئة الموظفين، ومدرسة الحربية لتنشئة الضباط، وأنشئت المؤسسات التي تهتم بالشؤون الصحية والطبية في الدولة[5].

وأدخلت اللغة الفرنسية إلى المدارس إلى جانب اللغة التركية في المدارس التي يلتحق بها أفراد الأقليات غير المسلمين والأتراك من أبناء الأسر الميسورة، وسرعان ما جرى التصريح بإنشاء مدارس وكليات أجنبية فرنسية في غالبيتها، تدار من جانب المبشرين، وظهرت مؤسسات علمية على نسق أوروبي مثل «مجلس المعارف» الذي قام على غرار الأكاديميات الفرنسية لإعداد الكتب التي ستدرس في الجامعة المزمع تأسيسها، والغرض الأصلي منها إيجاد شكل أكاديمي يحقق اتصالاً بالحياة الفكرية والعلمية الأوروبية، وافتتحت الجامعة، وكانت تسمى دار الفنون عام 1286هـ/ 1869م، وسار هذا جنباً إلى جنب مع التعليم الديني الموجود في المدارس والكتاتيب، وهو القاعدة بالنسبة

الازدواجية بين التعليم المدني والديني مثلت إشكالية معرفية واجهت العقل المصري

للمناطق الريفية البعيدة عن تأثير المثقفين العثمانيين آنذاك، ومن أهم التغيرات التي أتت بها التنظيمات –أيضاً– استخدام الأقليات في مجال التعليم؛ مما يعد أمراً جديداً في تاريخ الدولة التركية[6].

وفي ظل السلطان عبدالعزيز (1861 – 1876م)، بدأ التعليم العام الواسع النطاق لتخريج موظفين، وشملت بنيته: التعليم الأولي، وكان مخصصاً من حيث المبدأ للأطفال اعتباراً من السادسة من العمر؛ مدارس أولية عليا، كليات، وقد أنشئ الليسيه الأول في جالاتا سراي عام 1868م، وكان يجري تدريس الفرنسية فيه، وأصبح بؤرة لتفريخ مثقفين وموظفين، وسرعان ما جرى التصريح بإنشاء مدارس وكليات أجنبية (فرنسية في غالبيتها وتدار من جانب رهبانيات كاثوليكية)، وكان يتردد عليها في آن واحد أفراد من الأقليات وأتراك من الأسر الميسورة الحال، وقد أتيح للبنات، لأول مرة، الحصول على تعليم حديث على النمط الأوروبي[7].

وكذلك أيضاً حدث في عهد السلطان عبدالمجيد (1839 – 1861م) الذي عرف بتبنيه الكامل لمشروع التغريب؛ حيث تحولت في عهده مؤسسات الثقافة التركية إلى مؤسسات تبشر بالمشروع المعرفي الغربي، وتأسست في عهده في إسطنبول أول جامعة حديثة؛ حيث يحذو تعليم العلوم حذواً أوروبياً، كما أمر بإنشاء أكاديمية العلوم العثمانية (أنجومين – أي دانيش) عام 1850م.

ومن أبرز رموز التغريب ودعاته في تركيا رشيد باشا (1800 – 1858م)، إبراهيم شناسي (1826 – 1871م)، ضيا باشا (1825 – 1880م)، نامق كمال (1840 – 1888م)، مدحت باشا (1822 – 1885م)، عبدالله جودت.

الحرب الإيرانية الروسية كان لها دور في توجه إيران نحو النمط الغربي في وسائل الحرب وفنونها

ظهر جيل من المثقفين الإيرانيين تبنوا الفكر الغربي وتمثلوا أفكاره خاصة بالنظرة إلى الدين ووظيفته

الازدواجية والابتعاث

أما في مصر، فنلاحظ أن الإشكالية المعرفية الكبرى التي واجهت العقل المصري وكانت مصدراً لمعاناته الفكرية تكمن في تلك الازدواجية التي بدأت تتكون مع إيجاد نظامين للتعليم مسؤولين عن تشكيل البنية المعرفية للعقل المصري، هما:

الأول: التعليم المدني الذي بدأ مع تجربة محمد علي، الذي يقوم على اتباع النمط الغربي.

الثاني: التعليم الديني الذي أصبح بجموده وانسداد روافد الاجتهاد فيه وفشل محاولات إصلاحه؛ يشكل عبئاً وليس حلاً للواقع الراهن.

وفي ضوء ذلك «بدأت مصر تعرف ذلك الازدواج الخطير بين نمطين من الثقافة؛ ثقافة دينية تقليدية جامدة، وثقافة علمية غربية متجددة، وكان لهذا أسوأ الآثار والشرور التي عانت منها مصر؛ فقد فتتت من وحدة الفكر بين أبناء المجتمع، وخلقت أخدوداً ثقافياً قلَّ من كانوا يستطيعون عبوره»[8].

ونتيجة لسياسة الابتعاث إلى أوروبا في ضوء غياب التحصين المعرفي من جهة،

www.mugtama.com

واستقدام الأوروبيين لاستخدامهم في وضع البرامج الثقافية والتربوية في مصر من جهة أخرى؛ تكونت في مصر بيئة خصبة للتغريب، ظهرت فيها كافة أفكار ودعوات المشروع المعرفي الغربي من الدعوة إلى العلمانية وفصل الدين عن الدولة، وتحرير المرأة والدعوة إلى السفور ومحاربة الحجاب، والتبشير بسيادة الفلسفة المادية، وتبني نظرية دارون في النشوء والارتقاء (شبلي شميل 1850م، وإسماعيل مظهر 1891م، وسلامة موسى 1887م).

أما في إيران (الرافد الثالث للحضارة الإسلامية)، فقد كان للحرب الإيرانية الروسية، وما تبعها من هزيمة للإيرانيين، ومعاهدة «تركمان جاي» (1828م) -التي سنت بموجبها امتيازات كثيرة للأجانب- دور كبير في التوجه نحو النمط الغربي في وسائل الحرب وفنونها، ولم يعد لدى الإيرانيين خيار سوى إعداد جيش على الطراز الحديث، فأنشؤوا مدرسة «دار الفنون» في منتصف القرن التاسع عشر (1851م – 1867 هـ.س) في عهد الدولة القاجارية، ضمت في دورتها الأولى سبعة أقسام، هي: الرياضة والهندسة، والطب والجراحة، والصيدلة، وعلوم المعارف، وثلاثة أقسام أخرى خاصة بـ«علوم العسكرية»[9].

مدرسة «دار الفنون»

وعلى الرغم من استقدام مدرسين أجانب لهذه العلوم وانتقاء الطلاب من غير المدارس الدينية والتحول الإداري والقانوني الذي شهدته مدرسة «دار الفنون»؛ فإنه لم يعترض أحد من علماء الدين؛ وذلك لرغبتهم في إعداد جيش قوي يتم به مواجهة الروس مرة أخرى، إلا أنه لم يتم التعايش مع مدرسة «دار الفنون» من قبل رجال الدين إلا لفترة محدودة، انتهت ببدء الدورة الثانية لهذه المدرسة (1859م) التي تأسست فيها مجموعة من الأقسام الدراسية الأخرى تهتم بتشكيل القيم، وتتدخل في الثقافة والأخلاق، وهذه الأقسام هي «المسرح والتمثيل»، «النحت والتصوير»، «الموسيقى».

وفي هذه المرحلة بدأ الصراع بين رجال الدين كمدافعين عن التعليم التقليدي (الديني) وما يحمله من قيم وخصائص، وفئة «المتغربين» الذين درسوا في أوروبا هذه العلوم الجديدة وعادوا لتدريسها في مدرسة دار الفنون وما تبعها من مدارس أخرى على النمط الغربي ذاته؛ فبعد نصف قرن تم إنشاء عدد من المدارس المشابهة، فأنشئت مدرسة الحقوق والعلوم السياسية عام 1899م، كانت مدة الدراسة فيها 4 سنوات، وتنتمي إلى التعليم العالي، ثم أنشئت في عام 1908م مدرسة الطب، ومدة الدراسة فيها 5 سنوات، كما أنشئت المدرسة العالية للزراعة والحرف المهنية عام 1922م، ومدرسة المهندسين عام 1926م، والمدرسة البيطرية عام 1932م.

ويعتبر الإيرانيون أن افتتاح «دار الفنون» واستقدام معلمين ومناهج ودراسات غربية كان من العوامل المؤثرة والفعالة في انتشار وترويج الفكر الغربي بإيران، لا سيما فيما يتصل بمنظومة القيم والثقافة، وقد وصل عدد الخريجين خلال 4 سنوات 1100 طالب، وكان أغلبهم من أسر معروفة وذات نفوذ كبير، وشغل معظمهم مناصب عليا في الدولة، وكانوا في نفس الوقت يسعون لنشر الثقافة الغربية[10].

وفي هذه الأثناء ظهر جيل جديد من المثقفين الإيرانيين الذين تبنوا الفكر الغربي، وتمثلوا أفكاره لا سيما ما يتعلق بالنظرة إلى الدين ومهامه ووظائفه في حياة الإنسان، لدرجة وصلت إلى معاداة الدين باعتباره أساس التخلف، كما فعل التنويريون الغربيون مع الدين المسيحي؛ فقد «تأثر الجيل الأول من تيار التنوير الإيراني بروحية معاداة الدين والمؤسسة الدينية التي كانت سائدة في أوروبا، ومن هنا اتخذ هؤلاء موقفاً معادياً من الدين، وتوجهوا نحو الأصول القومية، فقفزوا إلى الوراء ليتجاوزوا الإسلام بوصفه مرحلة تاريخية دخيلة من عمر إيران والإيرانيين، ويعودوا إلى تاريخ الأجداد الساسانيين»[11].

وقد ارتبطت المؤسسات التعليمية الحديثة، ومصطلح المستنيرين بمن يروجون للفكر الغربي وباستعداء الدين واستبعاده من حركة النهضة الإيرانية، ومن ذلك ما كتبه جلال أحمد عن هذه الحالة فيما أسماه «درخمت وخيانة روشنفكران» (المستنيرون خدمة وخيانة)، والمصطلح يشير بوضوح إلى هؤلاء الذين يميلون للغرب ويرجحون أفكاره وينقلونها ■

السلطان عبدالمجيد عُرف بتبنيه لمشروع التغريب وبدأت مؤسسات الثقافة التركية تبشر بالمشروع المعرفي الغربي

الهوامش

(1) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، مكتبة العبيكان، 1996، ص149.

(2) جوستين ماكارثي: «سياسات الإصلاح العثماني»، ترجمة: عبداللطيف الحارث، مجلة الاجتهاد، العدد 45-46، بيروت، 2000، ص 64.

(3) المرجع نفسه، ص 75.

(4) رءوف عباس: «الإصلاح العثماني الدوافع والأبعاد»، بيروت، مجلة حوار العرب، العدد الرابع، مارس 2005، ص48.

(5) ماجدة مخلوف: «الإصلاح والتجديد في تركيا»، مرجع سابق، ص20.

(6) المرجع نفسه، ص22.

(7) روبير مانتران (إشراف): مرجع سابق، 463.

(8) سعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم في مصر، القاهرة، عالم الكتب، 1985، ص337.

(9) مهدى إشراقي: دار الفنون كفتارى درهويت دار الفنون وجايكاه در تاريخ معاصر إيران (مكانة وتاريخ مدرسة دار الفنون في الهوية الإيرانية)، طهران، مركز التعليم والتربية 2004م، ص27.

(10) المرجع نفسه، ص53.

(11) انظر:

- نهاوندي هوشنگ وديكران: أمير كبير ودار الفنون، طهران، المكتبة المركزية، 1999.
- محمد شفيعي فر: الأسس الفكرية للثورة الإسلامية، ترجمة: محمد حسن زراقط، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2007، ص 112.

د. عبدالحميد مدكور الأمين العام لمجمع الخالدين بالقاهرة لـ«المجتمع»:

لا ندعو للقطيعة مع الحضارات الأخرى لكن نرفض الذوبان والاستسلام

«ليس معنى أن نتخذ موقفاً من التغريب أننا ندعو للقطيعة مع الحضارات الأخرى، فليس ذلك مقصوداً أبداً، ولكننا في الوقت نفسه نرفض الذوبان أو الاستسلام أو التبعية..»، بهذه العبارة الدالة الواضحة بدأ د. عبدالحميد مدكور، الأمين العام لمجمع الخالدين بالقاهرة، حواره لـ«المجتمع» حول قضية «التغريب» وما يكتنفها من لغط يروج له دعاته بين فينة وأخرى.

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة أكد أن العلاقة بين الحضارات وما يقع بينها من تأثير وتأثر يمكن تشبيهها بعملية نقل الدم من إنسان إلى آخر، وهذا النقل يقتضي تماثلاً وتجانساً من نوع الفصيلة التي سيتم نقلها، فإذا لم يتحقق هذا التماثل أو التجانس، فإنه سيتسبب بإضرار الشخص الذي سينقل إليه الدم، وقد يؤدي إلى وفاته، وهكذا الشأن في علاقة بعض الحضارات ببعض.

حاوره- إسلام عبدالعزيز:

● بداية، لو أردنا وضع تعريف محدد لمفهوم التغريب لننطلق منه في الحكم على مفرداته المختلفة، فكيف يمكننا أن نعرفه؟

- كلمة التغريب -في أصلها اللغوي- تدل على معاني النأي والبعد والارتحال بعيداً عن الوطن والانتقال من جهة الشرق إلى جهة الغرب، حيث يقال غرب واغترب، وتغرب عن الوطن بمعنى نزح عنه، ويقال: أغرب إذا أتى الغرب، وقد تدل على أنه جاء بالشيء الغريب غير المعهود في الآراء والأفكار، ويقال كذلك: أغرب في الأرض بمعنى أمعن فيها وسافر سفراً بعيداً.

وما يزال للكلمة صلة وثيقة بهذه المعاني في الاستعمال اللغوي المعاصر، لكنها تطورت في دلالتها ومضمونها، فأصبحت تستعمل على الألسنة، وفي الكتابات والآراء بمعنى جديد يتصل بظواهر ثقافية واجتماعية وسياسية في علاقة العرب والمسلمين وغيرهم من الحضارات والشعوب الشرقية بالحضارة الغربية التي تسعى بكل الوسائل لإضفاء الطابع والنموذج الغربي على الحياة في سائر الحضارات الأخرى، ومنها الحضارة العربية والإسلامية.

● هل ترون أن هذا الموقف ثابت من الحضارة الغربية، بمعنى أن لديها رغبة لذلك، أم هو محض افتتان من بعض من يفتتن بها من هذه الشعوب؟ ولماذا؟

- بالطبع هو موقف ثابت تتخذه الحضارة الغربية تجاه العالم، رغبة منها في تأكيد تفوقها العلمي والصناعي، وتوسيع نطاق هذا التفوق ليشمل الظواهر الإنسانية والاجتماعية والفكرية.

وبالمناسبة ودليلاً على ما أقوله، فإنها تسلك لتحقيق ذلك كل سبيل، بداية من المعونات الاقتصادية والضغوط السياسية إلى شن الحروب إذا لزم الأمر، ويرتبط ذلك في العالم العربي والإسلامي بالحقبة الاستعمارية التي قامت بها أوروبا على هذين العالمين، التي كان من أهم وقائعها الحملة الفرنسية على مصر (1798 - 1801م) وما تلاها من المحاولات الغربية لاحتلال العالم الإسلامي.

وهنا ربما يجدر بنا أن نؤكد أنه مما يستدعي الانتباه ويستوقف النظر ما عرضه «نابليون» على المجمع العلمي الذي أنشأه بمصر في أول جلسة له، حيث طالب بدراسة وفهم الموقف عموماً في مصر من ناحية القانون المدني والجنائي وتدريس القانون، وهل يمكن إدخال تحسينات يقبلها الأهالي!

وعندما دعا الديوان العام الذي شارك فيه بعض علماء الأزهر إلى الاجتماع عام 1798م، كان من أهم أهدافه أن يعمل الديوان على إعادة النظر في الإجراءات الجنائية والمدنية وقوانين الملكية والمواريث والضرائب، وكان من أهم الأسئلة التي عرضها على الديوان: ما القوانين التي يجب سنّها وتشريعها لضمان حق الميراث.

ولم تكن هذه الأسئلة تمثل مشكلة للمصريين الذين كانوا يتبعون الشريعة الإسلامية، وما جاء بها من قواعد للميراث والملكية، ولكنها كانت تمثل رغبة «نابليون» في إزاحة الشريعة عن مكانتها التي كان المصريون يحتكمون إليها، دون شكوى أو تبرم، كما أن ذلك كان يعني محاولة إضفاء الطابع الغربي على النظم والقوانين السائدة في مصر، بما يترتب على ذلك من تغير في

www.mugtama.com

أنماط الحياة الاجتماعية التي تترتب على تطبيق هذه القوانين.

وقد خرج «نابليون» وجيشه من مصر دون أن يتمكن من تحقيق غايته، ولكن الفكرة ظلت قائمة منتظرة الفرصة لتحقيقها في مصر حتى جاء اللورد «كرومر»، فجعل القانون الأجنبي هو القانون المطبق في المحاكم المصرية كلها ما عدا قضايا الأحوال الشخصية، وأصبح التغريب هو السائد في نطاق القانون الذي يمثل ركناً مهماً من أركان الحياة الاجتماعية.

● لو ابتعدنا قليلاً عن العمق التاريخي لبدايات محاولات التغريب، وأردنا أن تضع لنا حدثاً تعتبره فارقاً في وسائل هذا التغريب وطريقة إدارته، فما هذا الحدث؟ وكيف تراه؟

– أعتقد هو ما حدث في أواخر القرن العشرين، وتحديداً في العام 1994م، حيث استعملوا وسيلة أخرى من وسائل التدخل في شؤون المجتمعات الإنسانية، تحقيقاً لما يريدونه من تغريب يصبغ المجتمعات غير الغربية بالطابع الغربي عن طريق المعاهدات الدولية التي تعمل على تغيير ثوابت المجتمعات.

وأقصد هنا تحديداً مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية الذي عقد في عام 1994م بإشراف الأمم المتحدة، حيث تدل وثائق هذا المؤتمر صراحة على أنها تدعو سائر المجتمعات إلى تطبيق النمط الغربي في النظر إلى الحياة الأسرية والحرية الجنسية وحرية الشذوذ! وتتحدث عن علاقات جنسية قبل الزواج، وبدونه، وتسعى إلى تحقيق أقصى قدر من الإمتاع للفرد على حساب التعاليم الدينية، والقيم الأخلاقية.

وكان من فضل الله أن الأزهر الشريف والكنيسة المصرية وقفا بقوة لهذه الوثيقة، وقابلاها بالرفض الصريح، ولولا ذلك لسقط ركن آخر من أركان الأسرة والحياة الاجتماعية، ولدخل المجتمع في وهدة التحلل والفساد الخلقي اللذين يقضيان على تماسك المجتمع وقيمه الأخلاقية.

● على ذكر الوسائل، هل ترون الاستشراق إحدى تلك الوسائل الناعمة لتحقيق هذا التغريب؟

– بكل تأكيد، وذاك تحديداً يتمثل فيما كان يقوم به فريق من الباحثين في شؤون الشرق من المفكرين الغربيين الذين يندرجون تحت راية الاستشراق الإنجليزي والفرنسي ثم الأمريكي، ويشير إلى هذا الجهد المستشرق الأمريكي من أصول عربية إدوارد سعيد، الذي ذكر أن فريقاً من المستشرقين كانوا ينظرون إلى الاستشراق بوصفه أسلوباً غربياً للسيطرة على الشرق والسيادة عليه، وإعادة بنائه على النحو الذي يتفق مع العقلية الغربية، والإسهام في تكوين فكرة الشرق عن نفسه بما يتفق مع الفكرة الغربية عنه، وإن كانت مختلفة مع واقع الشرق نفسه.

● البعض يقول: إن الاستشراق في جزء كبير منه بهذا المعنى ما هو إلا تمهيد لتقبل فكرة الاستعمار ذاتها، هل توافقون على ذلك؟

– نعم، وهذا ما يقوله إدوارد سعيد الذي يربط بين الاستشراق بهذا المعنى واتجاه الغرب إلى استعمار الشرق ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث يرى هؤلاء أن تغيير العقليات والأفكار، وزلزلة الثوابت الدينية والاجتماعية، والتقبل لصور الحياة الواردة يجعل من السهل على هؤلاء تقبل الاستعمار بعد إخضاعهم لغسيل المخ وإعادة حشوه بالوافد المنتمي إلى الحضارة الغربية ومنظومة أفكارها وطريقتها في العيش وترتيبها للأولويات والقيم السلوكية.

● لكن، ألا ترون أن الأزمة ليست في عمل هؤلاء بقدر ما هي في أن هناك من بني جلدتنا ممن يوصفون بالنخبة الفكرية والثقافية وهم أبواق هؤلاء يرون ذلك ويدعون إليه؟ هل تتفقون معي؟

– بكل تأكيد هذه هي الأزمة الكبرى، التي تزيد الطين بلّة، عندما تجد مفكرين من أبناء المجتمعات المستهدفة بهذا التغريب ينادون بمثل ما ينادي به أبناء الحضارة الغربية، حيث يرى بعض هؤلاء –كما يقول طه حسين في «مستقبل الثقافة في مصر» الذي ظهر في أربعينيات القرن الماضي– أن الطريق إلى النهضة هو الأخذ بأسباب الحياة الحديثة التي يأخذ بها الأوروبيون في غير تردد ولا اضطراب، وأنه ليس في الأرض قوة تستطيع أن ترد العرب وغيرهم عن أن يستمتعوا بالحياة على النحو الذي يستمتع بها الأوروبيون، وأن السبيل إلى ذلك ليس بالكلام المرسل، ولا بالمظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة، وإنما هي واضحة بيّنه مستقيمة ليس بها اعوجاج أو التواء، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع.

ولا يختلف عن ذلك كثيراً ما يقوله سلامه موسي: «كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي، فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا، وأن نلتحق بأوروبا، فكلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها».

تخيل هذه مشاعره تجاه الشرق الذي ظهر فيه الإسلام، وفيه قبلته، وهو في نظره تزداد كراهيته له كلما زادت معرفته بتاريخه وثقافته! أما أوروبا فهي رمز للتمدن والحضارة والعلم والحرية عنده!

● ما سر هذا الافتتان الكبير بالنموذج الغربي من هذه النخبة؟

– الدعوة إلى التغريب كانت تمشي في ركاب التقدم التقني الذي كانت الحضارة الغربية الأوروبية سابقة فيه لغيرها من الحضارات، وكان التفوق العسكري للغرب واضحاً ابتداء من القرن السابع عشر، وذاك

هناك رغبة أكيدة من الغرب لإضفاء طابعه على الحياة في سائر الحضارات الأخرى

نرفض التغريب ونواجهه ولا ندعو للقطيعة مع الحضارات لكننا نأبى التبعية

هو السر؛ الربط بين هذا ونموذج الحياة، وكأن هذا نتيجة لذاك!

وكما يقول المؤرخ الكبير «توينبي»: إن فن الحرب ما هو إلا أحد وجوه طريقة المعيشة الغربية، وأي مجتمع غريب يرغب في تعلم هذا الفن دون أن يحاول تبني طريقة العيش نفسها يكتب له الفشل حتماً، وهو يفسر ذلك بأن جميع المقومات في حضارة ما من دين وتكنولوجيا لها جذور داخلية، وإذا تخلى أحدهم عن طريقته التقليدية ليتبنى طريقة أجنبية، فهذا التغيير الذي يبدو عليه أنه سطحي لا يبقى كذلك، بل يتسرب إلى الأعماق، إلى درجة تصبح معها الحضارة التقليدية في الصف الثاني، بينما تشق الحضارة الأجنبية لنفسها شيئاً فشيئاً طريقاً بواسطة الشق الذي خلفه على السطح من الخارج الطريق الأجنبي؛ لذلك كان البدء بالتكنولوجيا مقدمة سيتبعها بالضرورة باقي العناصر.

● هل ترون انتشار المدارس الأجنبية في جنبات وطننا العربي والإسلامي إحدى وسائل التغريب؟

– نعم، خاصة انتشار المدارس التي تجعل اللغات التي تعلّم بها معياراً للفكر والفن والثقافة والتاريخ، ويقع ذلك فيها دون إشراف جاد على مناهجها.

ولذلك لا يجد المنتسبون إليها والمتعلمون فيها ما يؤكد هويتهم، وما يربطهم بتاريخهم وقضايا شعوبهم، بل قد يحظر في بعضها النطق بالعربية التي هي اللغة الأصلية لطلابها، وكل هذه قنوات يتسرب منها التغريب إلى المجتمع، ويحدث أثره في تغيير الأفكار والأذواق ونمط العيش وطريقة الحياة، بل قد يؤدي إلى الانفصال النفسي عن المجتمع والتفكير في الهجرة إلى هذه البلاد التي قد تكون معارفهم عنها أكثر من معارفهم عن مجتمعاتهم.

● لكن بعض هؤلاء لا يرون في ذلك تغريباً، بل حداثة وتقدماً ومدنية وتحضراً!

– ولن تغني عنهم ألفاظهم التي يروجون بها للتغريب شيئاً، فالعبرة بالآثار التي تترتب عليه، فليُسمّوه مدنية أو تحضراً أو حداثة أو تقدماً أو تنويراً، لأن هذه الأسماء مرتبطة – في مضمونها– بالمجتمعات التي نشأت فيها، ولكل حضارة مصطلحاتها، ومشكلاتها، وتصوراتها وقيمها ومفاهيمها وغاياتها، وعلى كل مجتمع أن يعالج مشكلاته، ويحدد غاياته بما يتفق مع ثوابته، وبما يتلاءم مع قيمه، وقد قيل –قديماً– فيما يتعلق بنسبية الأخلاق: إن شيئاً ما قد يكون فضيلة على أحد جانبي النهر، على حين أنه قد يكون رذيلة على الجانب الآخر.

بل إن المجتمع الواحد قد تتغير فيه منظومة القيم، ومناهج التفكير من عصر إلى عصر، وهذا واقع يثبته النظر في أحوال الأمم والشعوب، وقد حملت الحضارة الأوروبية العلمانية التي تتخذ موقفاً سلبياً من الدين، لكن شعوباً أخرى وقفت في وجه هذا الموقف وقاومته متمسكة بقيمها وأصالتها، ثم حملت الحضارة الغربية إلى العالم مصطلح العولمة، ولكن شعوباً كثيرة تصدت لهذه العولمة وقاومتها كذلك، وسعت إلى الحفاظ على مصالحها، ولم تقبل الذوبان في هذه العولمة التي تنال من هويتها، وتقطعها عن تاريخها، وتنال من خصوصيتها الحضارية، بل إن بعض الدول التي رفعت شعار العولمة قد تراجعت عنه من الناحية العملية حتى ولو لم تعلن ذلك على المستوى النظري والأيديولوجي.

لكن من المهم التأكيد على أن اتخاذ مثل هذه المواقف لا يكون عن طريق الشعارات والادعاءات التي لا تغني فتيلاً عن أصحابها الذين سيجرفهم الطوفان لو لم يأخذوا بأسباب القوة التي تمكنهم من المقاومة، وهي القوة الشاملة التي لا تعنى بجانب واحد من جوانب الحضارة، بل عليها –إذا أرادت المحافظة على مكانتها– أن تعنى بكل الجوانب؛ اقتصادية وعلمية وتقنية وسياسية وعسكرية، ويتحول كل هذا إلى واقع يراه أصحابه ويراه الآخرون أيضاً.

● لكن أليس هذا يعني تقوقعاً وقطيعة مع الآخر، وسنن الله في الكون تأبى ذلك، فالحضارات تتلاقح وتقوم إحداها على ما أخذته من الأخرى، فكيف تريدون لنا أن نقطع صلتنا بتلك الحضارات؟

– لا أبداً، لم ندعُ إلى ذلك، ولن ندعو إليه، فليس معنى أن نتخذ موقفاً من التغريب أننا ندعو للقطيعة مع الحضارات الأخرى، فليس ذلك مقصوداً أبداً، ثم إنه ليس ممكناً من جهة أخرى بسبب هذا التواصل الذي لم تعرف البشرية له نظيراً من قبل، ولكن ذلك لا يعني الذوبان أو الاستسلام أو التبعية.

ينبغي أن يكون واضحاً أن العلاقة بين الحضارات وما يقع بينها من تأثير وتأثر يمكن تشبيهها بعملية نقل الدم من إنسان إلى آخر، وهذا النقل يقتضي تماثلاً وتجانساً من نوع الفصيلة التي سيتم نقلها، فإذا لم يتحقق هذا التماثل أو التجانس، فإنه سيتسبب بإضرار الشخص الذي سينقل إليه الدم، وقد يؤدي إلى وفاته، وهكذا الشأن في علاقة بعض الحضارات ببعض.

وليس لدينا في حضاراتنا رفض –من حيث المبدأ– للتفاعل بين الحضارات، فالله تعالى يقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر)، وفي الحديث الشريف، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها» (رواه ابن ماجة، والترمذي)، وليس يعني ذلك استيراد الحلول الحضارية أو عن طريق التبعية لحضارات أخرى، وليس هناك عائق يمنع الإفادة من تجارب الأمم الأخرى التي قد تتضمن كنوزاً من الخبرة الإنسانية في مجالات عدة، ومن ثم تكون جديرة بالرجوع إليها والإفادة منها، بشرط التجانس كما قلنا وعدم التعارض مع الثوابت التي لا يصح التفريط فيها.

● الثوابت، هذه كلمة ربما كثر حولها

مؤتمر السكان بالقاهرة عام 1994م أحد أهم الأحداث الفارقة للدلالة على الرغبة في «التغريب» وفرضه كاملاً

انتشار المدارس التي تجعل اللغات التي تعلّم بها معياراً للفكر والفن والثقافة والتاريخ أهم وسائل تغريب مجتمعاتنا

www.mugtama.com

الجدل، فهل يمكن أن تحدد لنا ما تراه أهم هذه الثوابت في موضوع التغريب على وجه الخصوص؟

– أعتقد أن اللغة العربية هي من أهم هذه الثوابت التي يجب الحفاظ عليها، بالنسبة للمجتمع العربي خاصة وللمجتمعات الإسلامية عامة، من حيث هي وعاء العلم، وخزانة الفكر ومستودع التاريخ، وأقوى عناصر توحيد الأمة، وتوحيد هويتها وتحديد مشاعر أهلها وإشعارهم بقوة الرابطة التي تجمع بينهم.

ثم هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وبها دونت الكتب ووضعت المؤلفات في سائر العلوم العربية والإسلامية، وقد اتسعت للمعارف الإنسانية التي أبدعتها الحضارات السابقة على الإسلام، وظهر ذلك في حركة الترجمة الكبرى التي وقعت منذ وقت مبكر من تاريخ العالم الإسلامي، ثم ازدهرت في عصر الدولة العباسية، وقد حوت بين جنباتها معارف الفرس واليونان والهند والسريان ولغات أخرى، وهي من أطول اللغات الحية عمراً، وقد تعلمها وبرع فيها أبناء الشعوب التي دخلت الإسلام؛ فاتخذوها لساناً لهم، وألفوا فيها كتبهم، وتغنوا بها في أشعارهم، وكتبوا بها كتبهم العلمية في الفلك والرياضيات والطبيعيات والطب والصيدلة والفلسفة، فضلاً عن العلوم العربية والإسلامية.

لكنها تلقى عنتاً كثيراً متعدد الجوانب، وهي توصف عند بعض خصومها بأنها لغة بدوية عاجزة عن مواكبة الحضارة الحديثة، بل توصف أحياناً بأنها لغة ميتة، وقد كانت كذلك حتى في زمن ظهور القرآن الكريم، وهذا ما أورده سلامة موسى بالمناسبة في «اليوم والغد».

● بعيداً عما روج له دعاة التغريب، كيف تم الاعتداء على اللغة العربية من وجهة نظرك؟

– مثلاً، تحول تدريس الطب في قصر العيني عندنا في مصر من اللغة العربية إلى الإنجليزية بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882م بسنة واحدة، تخيل.. سنة واحدة! وبدؤوا في محاولة طمس الهوية، وبدأت الدعوة إلى استعمال العامية بدلاً منها، وكان من الدعاة إليها «ولكوكس» المهندس الزراعي الإنجليزي، ثم تلقفها غيره من المصريين، بل ودعا بعضهم إلى استعمال اللغة اللاتينية، ولم تعد العربية لغة العلم في الكليات العملية كالطب والهندسة والصيدلة والعلوم وغيرها.

أيضاً، نشأت المدارس الأجنبية التي تدرس كل موادها بلغة غير اللغة العربية كالإنجليزية والفرنسية، وخُصص لها في برنامج الدراسة وقت لا يكفي لدراستها، وغاب استعمالها في بعض المؤسسات والشركات واللافتات على الرغم من بعض القوانين التي تمنع ذلك.

كذلك لم يعد لها الغلبة في الإعلام ولا في برامجه التي يدار فيها الحوار باللهجة العامية التي قد تخرج أحياناً ببعض الكلمات الأجنبية، ثم ظهرت الوسائل المسماة بوسائل التواصل الاجتماعي فاستعملت لغة هجيناً من الكلمات العامية والأجنبية، وحلت الأرقام فيها مقام بعض الحروف، وأصبحت المسافة بينها وبين العربية شاسعة، وتضافرت هذه العوامل كلها على اللغة العربية وأصبحت معضلة كبرى.

● إذن، ما الحل؟ وكيف يمكننا التعامل مع تلك المعضلة؟

– الأمر يحتاج إلى تدخل الدول لانتشال اللغة من الوهدة الثقافية التي تعيشها، وذلك بإصدار القوانين لحمايتها والتمكين لها، والعمل على أن تكون لغة علم كما كانت قروناً طويلة.

ونحن نقول ذلك توافقاً مع القول المأثور: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، فالدول هي التي تصدر القوانين، وهي التي تضع مناهج التعليم، وهي التي تستطيع محاسبة من لا يستجيب للقوانين أو النظم التعليمية.

● لكن، دعني أؤكد أن كثيرين يعوّلون على مؤسسات المجتمع أكثر مما يعولون على الدول والحكومات لأسباب كثيرة.

– هذا صحيح، فالأمر لا يقتصر على الحكومات وحدها، بل يجب على المؤسسات التعليمية كالجامعات ومراكز البحث العلمي أن تقوم بواجبها نحو اللغة العربية التي هي اللغة الرسمية في البلاد العربية.

ومن العجب أن أكثر كلياتها لا تتضمن موادَّ لدراسة اللغة العربية، والطلبة الذين يدخلونها تنقطع صلتهم بهذه اللغة بعد الثانوية العامة، فليس لها موضع في مناهجها ولو بمواد اختيارية، وأنَّى لهؤلاء أن يعرفوا هذه اللغة أو يستعملوها في حياتهم أو أبحاثهم العلمية فيما بعد، وقد ظهرت دعوات لتضمين اللغة العربية ضمن مناهج الكليات الجامعية منذ عام 1979م، ولكن هذا لا يطبق إلا في القليل من البلاد العربية.

ويبقى العبء الأكبر طبعاً على مجامع اللغة العربية، ومنها مجمع اللغة العربية في القاهرة.

● على ذكر مجمع الخالدين بالقاهرة، ما الذي فعله المجمع في مواجهة ذلك؟ وهل أنتم راضون عن هذا الجهد؟

– أصدر المجمع عدداً من المعاجم المتخصصة تعد بالعشرات، ثم أصدر عدداً من المعاجم اللغوية كان من أهمها «المعجم الوسيط» الذي فاز بجائزة الملك فيصل العالمية منذ بضع سنوات.

وهو يعمل الآن بحول الله وطوله لإصدار المعجم الكبير الذي سيكون –عند إتمامه– أوسع معجم للغة العربية، وقد صدر منه حتى الآن أربعة عشر مجلداً، وينتظر أن يصل إلى نحو ثلاثين مجلداً يتعاون على إصدارها عدد كبير من أعضاء المجمع وخبرائه ومن يعاونهم من الباحثين الفنيين المؤهلين تأهيلاً علمياً عالياً، والمدربين تدريباً عالياً كذلك، وهم يبذلون أقصى جهودهم لإنجازه في وقت قريب.■

التغريب.. والاقتصاد الإسلامي

التغريب تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمم بالأسلوب الغربي

د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

قضية التغريب من القضايا التي تفرض نفسها في الساحة الإسلامية، وتشهد لهيباً محموماً في هذه الأيام، خاصة في ظل دعاة العلمانية في عالمنا العربي الذين يتقبلون أي دين أو مذهب وضعي إلا دين الإسلام، ولم يقتصر التغريب على الجانب السياسي والاجتماعي، بل الجانب الاقتصادي أيضاً.

عرَّفت الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة التغريب بأنه «تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية».

فالتغريب لا هدف من ورائه سوى صبغ حياة المسلمين باللون الغربي بحلوه ومره، خيره وشره، والدعوة إليه والتغني به باسم التقدم والحداثة، ومنها الحياة الاقتصادية، مع أن الحداثة بمفهومها الصحيح لا غبار عليها إذا كانت لا تصطدم بالأحكام الشرعية، فـ«الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها»، وشتان ما بين التغريب والحداثة، فالأخيرة تعني الانتقال من حالة قديمة إلى حالة جديدة، تشمل وجود تغيير ما، وتيسر لنا الاستفادة من كل جديد نافع، بينما التغريب يبدل ثقافة شعوبنا ويقوم على نبذ القيم والثقافة الإسلامية، وإحلال القيم الغربية مكانها، فهو انسلاخ من حضارتنا وقيمنا، وتكريس للتبعية الغربية المادية فينا.

ولو تطرقنا إلى التغريب في الاقتصاد لوجدنا الرأسمالية المتوحشة هي سيدة الموقف بويلاتها وأزماتها وثقافتها التي جعلت الربا أمراً لا فكاك منه، والمقامرة من مشتقات مالية ونحوها دواء لا بد منه، والاستهلاك الترفي متاعاً لا بد من التمسك به، وحرية السلع دون الأفراد مسلكاً محموداً، وفرض الضرائب وإهمال الزكاة منهجاً، وحصر دولنا الإسلامية في الإنتاج الريعي والتقنية المتقادمة، وتحويل الدولة من راعية للاقتصاد إلى حارسة له، بل وتفريغ العديد من البنوك الإسلامية من منهجها بالتحايل المقيت ببيع العينة والتورق المصرفي المنظم.

ومن أشد أساليب التغريب في الاقتصاد أيضاً الركون إلى المنهج التجريبي وحده دون غيره، والاستسلام لمقولة العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، ولا مكان للدين والأخلاق سوى التحييد.

إن المعرفة تشمل كل ما يتجمع لدى الإنسان من المعلومات العامة أو الحقائق القائمة على التجربة أو الإدراك الحسي أو التأمل الفلسفي أو الجهد الفكري المنظم، والعلم هو المعرفة المنظمة التي تنشأ عن الملاحظة الحسية التي تعرضت للفحص والتدقيق والتحليل والتجريب بغرض تحديد طبيعة وأسس وأصول ما تم دراسته، ولا علم بدون منهج، ولا ممارسة للعلم بدون قاعدة علمية وضوابط منهجية، والمنهج هو الطريقة الواضحة التي ينتهجها العقل للتوصل إلى الكشف عن الحقيقة التي يريد الباحث الوصول إليها، مستعيناً في ذلك بمجموعة من القواعد العامة التي يخضع لها العقل في عملية البحث عن طريق بعض أدوات التحليل، ومنها: أدوات التحليل المنطقي التي تضم الطريقة الاستنباطية والطريقة الاستقرائية.. إلخ، وذلك بهدف التوصل -من خلال عملية التحليل- إلى أفكار ومقولات عامة.

والإسلام يؤمن بالمعرفة والعلم، ويثمن على منهج البحث في علم الاقتصاد الذي

يرتبط بالسلوك الإنساني، وينصرف إلى طرق الدراسة والتحليل التي تستخدم من خلال الفكر المتتابع والمنتظم عن دراسة موضوع معين بهدف التوصل إلى قانون عام يحكم الموضوع محل الدراسة، ولكن السلوك الإنساني في الإسلام ليس سلوكاً عشوائياً ولا سلوكاً يحكمه التجريب فقط، بل يحكمه العقل والوحي المرشد لهذا العقل.

النظرية الاقتصادية

والاقتصاد الإسلامي كعلم ينشغل بالسلوك الاقتصادي للإنسان في إطار الأصول الشرعية والجوانب العقدية والأخلاقية، فهو يتضمن الأحكام التقريرية (الوضعية)، والتقديرية (المعيارية) معاً، فدراسة الجوانب الواقعية من السلوك الاقتصادي لا تقل أهمية عن دراسة الجوانب المعيارية فيه، والنظرية الاقتصادية الواقعية هي نظرية علمية يتحدد إطارها بملاحظة الواقع وتفسيره، مثل قانون الطلب الذي يعكس العلاقة العكسية بين الكمية المطلوبة والسعر، فهي تستند لمعايير واقعية.

والنظرية الاقتصادية المعيارية لا تعني انفصال النظرية الاقتصادية عن الواقع تماماً، حيث تصبح هذه المثالية مسألة خيالية خارجة عن نطاق اهتمام الاقتصاديين، إنما المقصود بالمفهوم المثالي هو ارتباط النظرية الاقتصادية ببعض الأهداف المرغوبة التي يظن صاحب النظرية أنه ينبغي تحقيقها في الواقع، فقد تتضمن النظرية الاقتصادية فرض التوزيع العادل للدخل القومي في المجتمع، بينما أن التوزيع السائد في الواقع غير عادل، وفي مثل هذه الحالة لن يمكن اختبار النظرية الاقتصادية مثلما هي الحال في المفهوم الواقعي للنظرية، حيث يقتصر ذلك فقط على تحقق الهدف المثالي على أرض الواقع، حيث يمكن حينئذ اختبار النظرية وتنتفي منها الصفة المثالية وتصبح واقعيةوالواقع أن منهج البحث في العلوم الاجتماعية يختلف عنه في العلوم الطبيعية، والاقتصاد كعلم اجتماعي محوره الإنسان ككل في نطاق الإنتاج والاستهلاك والتوزيع إشباعاً لحاجاته، وهو مجال يختلف عن مجال بحث وأهداف العلوم الطبيعية، وإن كانت جميعها في النهاية تخدم الإنسان، ومن ثم فإن الدراسة العلمية لا تقتصر على مجال الأحكام التقريرية، وإنما تمتد إلى مجال الأحكام التقديرية كذلك.

وعلى ذلك، فإن علم الاقتصاد الإسلامي لا يقف عند دراسة الواقع فقط، بل يتجاوزه إلى دراسته كما ينبغي أن يكون، ثم تحديد الخطوات العلمية والعملية لتعديل الواقع القائم ليصبح هذا الواقع كما ينبغي أن يكون، بمعنى آخر؛ إن مهمته وهدفه هي مهمة وضعية ومعيارية معاً.

والباحثون في الاقتصاد الإسلامي مطالبون بالنظر في الكتاب والسُّنة وأقوال الفقهاء والعلماء في الكتب الشرعية وكتب الفكر الاقتصادي وكتب التاريخ ورؤيتهم للظاهرة الاقتصادية في الإنتاج والاستهلاك والتوزيع والنقود والتجارة الدولية.. إلخ، وكذلك دراسة الواقع من حيث وصفه وتفسيره.

لا هدف من وراء التغريب سوى صبغ حياة المسلمين باللون الغربي والتغني به باسم التقدم ومنها الحياة الاقتصادية

التغريب يبدل ثقافة شعوبنا ويقوم على نبذ القيم الإسلامية وإحلال الغربية مكانها

وقد عجزت النظريات الاقتصادية الوضعية التي يسعى أهل التغريب لجعلها منهجاً لنا عن حل المشكلات الاقتصادية المعاصرة، وركزت على الماديات وأهملت الروحانيات وحيدت الأخلاق، وسارت في ركب الحياد العلمي للنظرية الاقتصادية الذي تبنته المدرسة التقليدية الجديدة بمناداتها بتجريد الظاهرة الاقتصادية عن غيرها من الظواهر الاجتماعية والأخلاقية، بينما النظرية الاقتصادية الإسلامية تنبع من القيم الإسلامية، وتوازن بين المادة والروح، وهدفها بناء الإنسان الاقتصادي الصالح الذي استخلفه الله لعمارة الكون بحوافز مادية وإيمانية وأخلاقية، لا الإنسان الاقتصادي المادي الذي على أساسه تم إقرار تعظيم الربحية للمنتج وتعظيم المنفعة للمستهلك بحوافز مادية بحتة.

وبناء نظرية اقتصادية إسلامية ينبغي أن يكون في إطار الثوابت، بالاستفادة من دراسة النظريات الاقتصادية الغربية رغم ارتباطها بفلسفات وبيئات مختلفة، ولكن مع ذلك يمكن البناء عليها بما يلائم واقعنا، ودون اصطدام مع أحكام شريعتنا، سواء بمفهوم المخالفة إذا كنا مختلفين تماماً، أو بمفهوم المشابهة في بعض الأحيان إذا كان هناك تشابه، فنحن لا نبدأ من الصفر ولا نهدر القوانين الاقتصادية التي ثبت صحتها ولا تصطدم بشريعتنا، فالمعرفة تراكمية، والتعديل والتطوير للنظريات الاقتصادية المعاصرة لا غبار عليه، لا سيما وأننا نمتلك تراثاً فقهياً عظيماً يمكننا من الربط بين الأصالة والمعاصرة.

وإذا كانت النظرية الوضعية تتطلب اختبار فروضها الاحتمالية بالرجوع إلى الحقائق والمشاهدات التي تؤيد ذلك، فإن النظرية الاقتصادية الإسلامية لا تحتاج إلى مثل هذا الاختبار على أساس أن الثوابت مسلمات في الاقتصاد الإسلامي يوقن بها الباحث يقيناً لا شك فيه، فحينما يقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة: 276) فهذا من المسلمات ولا مجال لاختباره حتى نثبت صحته.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول: إن النظرية الاقتصادية الإسلامية يمكن أن تحتوي الممارسات المادية بعد تهذيبها وفقاً للمبادئ الإسلامية، فالعقل ليس المصدر الوحيد للمعرفة، بل العقل والوحي المرشد له، مع أهمية تفسير النتائج المتأتية منها بعناية، ويجب ألا تلتبس بشريعة الإسلام وعصمتها، فالباحثون متفاوتون في المقدرة على الفهم والاستنباط، بل ومتفاوتون في معرفة هذه الأصول الشرعية والإحاطة بها، فالنظرية الاقتصادية الإسلامية وإن استمدت مسلماتها وأطرها العامة من الوحي، فإنها ليست في نفسها وحياً منزلاً، وإنما هي بالضرورة مشتملة على اجتهادات وأفكار وتفسيرات بشرية ضمن مكوناتها الرئيسة، وفي كل ذلك قد يرد الخطأ، وهذا الخطأ لا يمكن أن يمس عصمة الشريعة، فهو مجهود بشري مستنبط من النصوص ويرجع على قائله ومفسره.■

www.mugtama.com

التشريع.. من ضيق التغريب إلى رحابة الإسلام

د. حازم علي ماهر
باحث مهتم بدراسة الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها في الدساتير والقوانين المعاصرة

يمكن تعريف التغريب بأنه تطبيع الأغيار بطابع الغربيين بهدف استتباعهم للغرب، والغرب هنا يكاد يتركز في دول أوروبا الكبرى بامتداداتها في أمريكا، باعتبار أن الأوروبيين هم من استوطنوا أمريكا بعد أن أبادوا سكانها الأصليين من الهنود الحمر، فإذا كان التغريب في المعاجم العربية يأتي بمعنى النفي عن البلاد، فإن التغريب في الثقافة الغربية يعني النفي عن الزمان وعن التراث الذاتي والإنساني لأجل تيسير عملية الذوبان في العصر الأمريكي الأوروبي وحده؛ سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً.

لقد كان المجال التشريعي من أهم الآليات التي استعملها الغرب لتحقيق أهدافه في تنميط العالم الإسلامي -تحديداً- على هواه ووفقاً لما يحقق مصالح «الرجل الأبيض»، ولذلك كان من الطبيعي أن يعمل بجد على تنحية الشريعة الإسلامية عن مرجعية التشريع والقضاء التي تبوَّأتها على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً، لا سيما وهي -بطبيعتها- عصية على التطويع والاحتواء، وتمنح المؤمنين بها الصمود والثبات في مواجهة العواصف التي تحاول أن تقتلعهم من جذورهم حتى لا يصبحوا لقمة سائغة للمتداعين عليهم كما تتداعى الأكلة على قصعتها!

فقد استغلت أوروبا الفجوة الكبرى التي حدثت بينها وبين المسلمين في الجوانب المادية والعسكرية خصوصاً لفرض نفوذها السياسي والاقتصادي على العالم الإسلامي منذ نهايات القرن الثامن عشر، ثم بدأت في احتلال دول العالم الإسلامي تباعاً، وكلما احتلت بلداً فيه استبدلت القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية، ليتغرب بذلك التشريع على مستوى المرجعية والمفهوم والمؤسسات والبيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وذلك على الوجه الآتي:

1 - من حيث المرجعية، تحولت مرجعية التشريع من الشريعة الإسلامية إلى المرجعية الغربية، فلم يعد نابعاً من الشريعة، بل مما يحدده الغرب ويختاره، فباتت قوانينه والفقه الآخذ عنها -عملياً- هما الميزان وهما أصل المشروعية في المجتمع الإسلامي؛ وتحولت مصادر التشريع من القرآن والسُّنة والمصادر الاجتهادية التي ترتد إليهما وفق القواعد الأصولية والفقهية التي اعتمدها علماء الشريعة على مدى التاريخ الإسلامي، إلى «التقنينات» التي تصدرها الدولة ممثلة في الجهة المختصة بالتشريع، والمبادئ العامة للقانون والقانون الطبيعي وقواعد العدالة، وغيرها من مصادر القانون.

2 - انحسر مفهوم التشريع في الدول المتغربة في معناه الغربي المقتصر على القواعد المنظمة للروابط بين الناس على وجه الإلزام من قبل الدولة، بعد أن كان التشريع يتسع في المفهوم الإسلامي ليشمل كل الأحكام الشرعية الإسلامية التي لها مقتضى عملي في حياة الإنسان بصفة عامة، بما تحتويه تلك الأحكام من عقائد وأخلاق وعبادات ومعاملات كمنظومة تشريعية متشابكة ومتكاملة، لا ترتبط بالضرورة بالدولة كجهة إلزام أو رقابة، بل كانت جهة الإلزام بتلك الأحكام هي القرآن الكريم والسُّنة النبوية وحدهما.

3 - أحلَّ الغرب مؤسساته التشريعية والقضائية محل الجهات المختصة بالتشريع الإسلامي، فاستبدل الغرب -ووكلاؤه المتغربون- البرلمانات بالفقهاء، وولى الدولة الحديثة -المستوردة منه والتابعة له- استتباع المؤسسات الدينية المختلفة، وعلى رأسها جهات التعليم الديني، الذي قضى الغرب على

تمويله الأهلي عبر نظام الوقف الإسلامي، فحرم الشريعة من علمائها المستقلين، وسلمهم والأوقاف للدولة وسلطتها التنفيذية المتغولة بدورها على المؤسستين التشريعية والقضائية، بعد أن تحكمت فيهما من حيث المنبع والمصب والوظيفة وإطارها!

4 – تغيرت البيئة المحيطة بالتشريع، حيث تغرب الواقع الاجتماعي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي والثقافي، وانتقلت العادات الغربية رويداً رويداً إلى بلاد المسلمين، فاختفت الأسرة الممتدة أو غاب الترابط عنها إلا قليلاً، ثم تبعها تفكيك الأسرة النواة كذلك تأسياً بالغرب الذي ما فتئ ينشر ثقافته ويفرضها على مجتمعات العالم فرضاً كي يستتبعها، فإذا بالأخلاق تتحول من الثبات إلى السيولة، ومن الإطلاق إلى النسبية، وإذا بالاقتصاد تغيب عنه العدالة والغايات الإنسانية التي كانت تستهدف إشباع ضروريات الإنسان واحتياجاته؛ فتحول إلى اقتصاد ربوي جشع لا يستهدف غالباً سوى توفير كماليات يمكن الاستغناء عنها دون عناء، أسهمت في تركيز ثروات العالم في يد شرذمة قليلين، مما وسع الفجوة بين الفقراء والأغنياء، بعد أن هيمنت عليه الشركات الدولية الكبرى التي باتت توجه الثقافة كذلك لتصبح استهلاكية وتحول الإنسان نفسه إلى كائن استهلاكي، وفي السياسة تحولت ولاءات المسلمين من الإسلام إلى أراض وحدود إقليمية رسمها «الاستدمار» الغربي للعالم الإسلامي لضمان التفرقة بين المسلمين، فكان طبيعياً أن يبتعد الواقع عن الشريعة الإسلامية، حتى أصبحت غريبة في واقع متغرب!

كيف نقاوم التغريب ونجري تغييرات عكسية؟

لا يعد تغريب التشريع قدراً لا فكاك منه، بل هو بمثابة تحدٍّ يقتضي استنفار الجهود لمقاومته بحكمة لا تستهدف إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، ومحاكاة الماضي بحذافيره، ولكن تبتغي إعادة المرجعية التشريعية والثقافية للشريعة الإسلامية بأسلوب متدرج، يبدأ بإعادة فهم الإسلام نفسه وتحريره مما ران عليه نتيجة الجهل والتقليد الأعمى وضيق الأفق والتوظيف السياسي والاقتصادي الانتهازي لأحكامه.

ومن أهم معالم هذا التحرير للإسلام إعادة فهمه كدين عالمي لا يخاطب العرب وحدهم، بل يخاطب الناس جميعاً، لا سيما في عالمنا المعاصر الذي بات بمثابة قرية واحدة تجمع بين المستكبرين والمستضعفين، والذين اتُّبعوا والذين اتَّبعوا، والأغنياء والفقراء، والمتقدمين تقنياً والمتأخرين.

ومن معالم هذا التحرير كذلك إبراز الوجه الإنساني الرحيم للشريعة الإسلامية، وتقديم مقاصدها الكلية السامية على أحكامها العقابية، وقيمها الأخلاقية التراحمية في وقت أقام فيه الغرب المعاملات بين الناس على أساس تعاقدي لا رحمة فيه.

فالإسلام يستطيع أن يجبر نقص التشريع الوضعي فيعلي القيم الإنسانية على المصالح المادية، ويعيد الارتباط بين القانون والأخلاق، عبر تقديم نموذجه المعرفي المتفرد الذي يمكن أن يسترشد به أي نظام تشريعي يريد تحقيق مصالح الأنام، عبر الفهم السديد للتوحيد الذي يحرر العباد من تسلط البشر، ويدفع الإنسان إلى التركيز على مهامه الأساسية في هذه الحياة الدنيا، من تزكية واستخلاف وعمران، وإلى استهداف مقاصد عامة تتمثل في حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل، وإلى الاستعصام بمبادئ حاكمة –مطلقة لا نسبية، وصلبة لا سائلة– مثل العدل والمساواة والشورى والحرية المنضبطة بنصوص شرعية قطعية لا يمكن لبشر تحويرها أو التلاعب بها.

المجال التشريعي من أهم الآليات التي استعملها الغرب لتحقيق أهدافه في تنميط العالم الإسلامي على هواه

التشريع بالدول المتغربة انحسر بمعناه الغربي المقتصر على القواعد المنظمة للروابط بين الناس من قبل الدولة

تغريب التشريع ليس قدراً لا فكاك منه بل هو تحدٍّ يقتضي استنفار الجهود لمقاومته بحكمة

وهذه منظومة متضافرة من القيم والمقاصد التي تعلو فوق الدساتير والقوانين، وتمثل ثوابت تقف عندها سلطة البشر التشريعية بحيث لا تتحكم فيها الأهواء، فتصبغ شرعية على أفكار وسياسات تقود العالم نحو الهاوية!

كما أنه قد آن الأوان لإعادة الربط بين العقيدة والأخلاق والمعاملات عبر وضع إطار عقدي وأخلاقي لنصوص القوانين حتى يمتثل الإنسان طواعية للقانون، حتى لا يخالفه كلما أمن العقاب، ويمكن أن يجري ذلك عبر وضع مذكرة إيضاحية لكل قانون تؤصل له عقدياً وأخلاقياً، حتى يتقبلها المواطن وينصاع لها عن اقتناع.

ومن الناحية العملية لا يستلزم الأمر إلغاء كل التغييرات التي حدثت في التشريع نتيجة تغريبه، بل يمكن الاستفادة من إيجابيات تلك التغييرات وتجنب سلبياتها، فمن الممكن أن تبقى سلطة البرلمان في التشريع كما هي مع ضم علماء الشريعة الموثوق بهم إلى أهل الخبرة والاختصاص في مجالات التشريع المختلفة لضمان أن تصدر التشريعات عبر اجتهاد جماعي يحرص على موافقتها للشريعة وما تنتهي من تحقيق مصالح الجماعة، مع اشتراط أن تكون تلك البرلمانات ممثلة للأمة بحق لا للحاكم وحده، فتكون بمثابة «أهل حل وعقد» في ثوب جديد.

كما أنه لا ضير في بقاء القضاء بشكله الجديد بشرط تحقيق استقلاليته الكاملة، بحيث «يكون تقدير كل قاض لوقائع النزاع، وفهمه لحكم القانون بشأنها، متحرراً من كل قيد، أو تأثير، أو إغواء، أو وعيد، أو تدخل، أو ضغوط أياً كان نوعها أو مداها أو مصدرها، وكان مما يعزز هذه الضمانة ويؤكدها استقلال السلطة القضائية عن السلطتين التشريعية والتنفيذية، وأن تنبسط ولايتها على كل مسألة من طبيعة قضائية»، كما انتهت المحكمة الدستورية العليا المصرية –في أحد أحكامها– بحق.

كما ينبغي العمل على إعادة الاستقلالية إلى المؤسسات الدينية الإسلامية بحيث تكون لعلمائها حصانة القضاة المبتغاة، فلا يوضع عليهم أي قيد عند اجتهادهم في استنباط الأحكام الشرعية وإعلانها، من أي جهة كانت، مما يضمن قيامهم بمهامهم السامية في إقامة العدل وإعلاء حكم الشرع على ما سواه.■

www.mugtama.com

د. مصطفى جمعة
أكاديمي وناقد وخبير تربوي

السينما العربية والتغريب.. واقع الصناعة وأبعاد التأثير

تُعَدُّ السينما من أعظم المؤثرات في الثقافة والوعي وتشكيل التحيزات والترويج للأفكار، نظراً لأنها وسيلة شديدة الجاذبية، عظيمة التشويق، متعددة الجماليات، فهي تجمع الصوت والصورة، والحركة والموسيقى، والقصة الشيقة، والأحداث المتتابعة، والشخصيات المثيرة، وهو ما جعلها ذات رصيد جماهيري هائل.

وعندما نتناول قضية التغريب في السينما العربية، فإننا نناقش واقعاً معيشاً، ليس وليد اليوم، وإنما يمتد بجذوره منذ السنوات الأولى لصناعة السينما، وحتى استواء عودها، وتكوين قاعدة إنتاجية تشمل معاهد متخصصة، وأستوديوهات وشركات منتجة، ورصيداً ضخماً من التراكم الإبداعي والإنتاجي، شكّل في مجموعه ملامح السينما العربية، سواء في مصر بوصفها «هوليوود الشرق» كما يطلق عليها، أو في بقية الدول العربية مع مراعاة التفاوت في حجم الإنتاج السينمائي، ومستوى جودته.

السينما تأتي ضمن منظومة الصناعات الثقافية التي تستقطب ملايين الكوادر وهي حاملة للهويات الثقافية ومروجة لقيمها

يُعرَّف التغريب اصطلاحاً بأنه حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخْـذ بالقيم والنُّظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم غريباً في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة؛ يَنظرُ نظرةَ إعجاب وإكبار إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قِيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة؛ ويرى في الأخذ بها الطريقة المُثلى لتقدُّم جماعته أو أمته الإسلامية[1].

فالتغريب ليس تأثيراً فكرياً فحسب، وإنما يمتد ليشكّل التوجهات والسلوكيات، ويصنع تحيزات بعينها، تُعْلِي من ثقافة الغرب وممارساته الحياتية، بجانب الترويج لأنماط الحياة والملابس والتقاليد والعادات، ليصبح تقليد الغرب واقعاً معيشاً في المجتمع، وبمرور الزمن وتتابع السنوات تنشأ أجيال تهجر ثقافتها وقيم الإسلام، وتحيا حياة تشابه الغرب في مجتمع الشرق.

ذلك الدور الذي قامت به السينما في عالمنا العربي بشكل واضح، وبدا واضحاً مع انتشار الأفلام الأجنبية المستوردة، التي لا تزال تحتل المساحة الأكبر في دور السينما العربية، وكما يشير «جان الكسان»، فإن اكتساح الأفلام الأمريكية في الدرجة الأولى، ثم الآسيوية والأوروبية بعدها؛ إنما هو عائد إلى ضخامة الإنتاج العالمي، وعدم قدرة صناعة السينما العربية على منافسة الأجنبي، نظراً لمحدودية تكلفتها، وضعف تقنياتها، وقلة إنتاجها، والأفلام الأجنبية جزء من تركة الاستعمار الغربي في بلادنا، التي لا تزال مستمرة، إن لم تكن قد زادت، بجانب سيطرة القطاع الخاص في غالبية البلدان العربية على دور السينما وشركات الإنتاج[2].

وهي تتعامل بمنطق رأسمالي تجاري بوصفه الغاية الأولى فوق أي قيم أو سلوكيات أو مضامين راقية، فلا يسعها إلا أن تستورد أفلاماً تروّج الحياة الغربية بكل ما فيها من سلوكيات سلبية، ودغدغة لمشاعر المشاهدين وغرائزهم، وإن تصدت هذه الشركات للإنتاج، فإنها لا تضع نصب عينيها التشويق والإثارة لتحقيق أكبر ربحية؛ لنكتشف أن الأمر لم يعد تغريباً مقتصراً على الحياة الغربية، وإنما اتسع ليشمل مؤثرات من شرقي آسيا، من خلال انتشار الأفلام الهندية والصينية والكورية وغيرها، وما زلنا نتذكر أفلام «بروس لي» الصينية (1940 - 1973م)

www.mugtama.com

التي انتشرت في الستينيات والسبعينيات التي حملت التوليفة المعروفة «الإثارة والحب والمعارك»، وقد صُنع على غرارها فيلم الكاراتيه المصري «الأبطال» (1974م) من بطولة أحمد رمزي، وجاءت أيضاً سلسلة الأفلام الهندية «أميتاب باتشان» (1969 – 2017م)، التي زادت على 100 فيلم، وقد أضافت على التوليفة السابقة الغناء والرقص والموسيقى الهندية الصاخبة، وحملت إلينا –فيما حملت– سلوكيات المجتمعات الآسيوية، وعرّفت الجمهور بالبوذية وشعائرها.

توازى هذا مع الأفلام الأمريكية التي اعتمدت على حروب العصابات، مثل سلسلة أفلام «روكي» (1974 – 1990م)، والتمجيد للبطل الأمريكي وأنماط الحياة الأمريكية، واحتقار المنافس السوفييتي، إبّان فترة اشتعال الحرب الباردة في نهاية القرن العشرين، وبالطبع كانت الأفلام المعروضة للجماهير العربية أفلاماً تجارية في المقام الأول، وهناك أفلام أجنبية راقية عميقة المضمون، جيدة الطرح، وهذه لا تجد حظها في قاعات السينما العربية، وربما تُعرض في بعض القنوات التلفازية العربية.

وتكمن المشكلة في تدني حجم الإنتاج السينمائي العربي على الخريطة السينمائية العالمية، فلا تزال السينما العربية لا تجد الدعم المادي والمعنوي المناسبين، ويكفي أن نقرأ تقرير «يونسكو» عن حجم الإنتاج السينمائي في العالم لنعرف موقعنا؛ فالهند، وفق الإحصاءات الأخيرة، تحتل المركز الأول عالمياً، من خلال ما تنتجه مدينة بوليوود السينمائية بحوالي 1091 فيلماً سينمائياً طويلاً في العام، مقابل 872 فيلماً أنتجتها صناعة السينما في نيجيريا (نوليوود)، بينما أنتجت هوليود بالولايات المتحدة الأمريكية 485 فيلماً طويلاً، وفيما عدا هذه البلدان الثلاثة، فإن 8 بلدان أخرى تنتج أكثر من 100 فيلم سنوياً، وهي: اليابان (417)، والصين (330)، وفرنسا (203)، وألمانيا (147)، وإسبانيا (150)، وإيطاليا (116)، وكوريا الجنوبية (110)، والمملكة المتحدة (104).

وذكر التقرير أن السينما تأتي ضمن منظومة الصناعات الإبداعية والثقافية التي تستقطب ملايين الكوادر، كما أنها حاملة للهويات الثقافية ومروجة لقيمها، وهي في الوقت نفسه تفتح الأبواب أمام الحوار والتفاهم المتبادل بين الشعوب، فضلاً عن تحقيق النمو الاقتصادي والتنمية[3].

وكما نرى، فإن القائمة تخلو من الدول العربية، فلا توجد دولة عربية تنتج 100 فيلم في السنة الواحدة، بما يجعل العالم العربي مضطراً لفتح أسواقه السينمائية للاستيراد الأجنبي، وهو ما يعني غزواً ثقافياً وتغريبياً بشكل دائم، لما يبثه الفيلم الواحد من آثار ورسائل وأفكار مباشرة أو غير مباشرة، ولعل المثال على ذلك أفلام الجريمة، فقد ذكرت دراسة ميدانية لوزارة الإعلام الكويتية تحت عنوان «دور وسائل الإعلام في نشر العنف والجريمة بين الشباب»، أن الأفلام الأجنبية البوليسية تحتل المركز الأول في المشاهدة، وأن 13% من أفراد العينة البحثية يتقمصون شخصية البطل بشكل كبير، وأن 22% يمكنهم إلى حد ما تقمص الشخصيات، وقد فضّل 89% أن ينال المجرم عقابه، في حين فضّل 11% إفلات المجرم من العقاب.

وأظهرت الدراسة أن تأثير مشاهد العنف على الشباب قد يكون لحظياً أو يمتد ليخزن في العقل الباطن ويظهر على المشاهد بعد فترة، وعادة ما يكون مدمراً لنفسه أو لغيره؛ حيث يشعر 70% بالانسجام مع تلك المشاهد، وهناك 37.5% يصابون بالخوف والفزع، و27% يرون أحلاماً مزعجة[4]، والأمر ينطبق أيضاً على أفلام «الأكشن» والرعب.

جذور التغريب السينمائي

أما التغريب في السينما العربية فهو كامن في جذورها، ومنذ نشأتها، بحكم أن صانعي السينما الأوائل –في مصر على سبيل المثال– كانوا من الأجانب، وهؤلاء بثّوا رؤى وأفكاراً تنسجم مع توجهاتهم الخاصة، فمؤسس أول شركة للإنتاج السينمائي وأيضاً أول أستوديو سينمائي بالإسكندرية هو «توجو مزراحي»، وهو يهودي الديانة، وينتمي لعائلة يهودية مصرية ثرية، وذلك خلال عامي 1929، 1930م، وكان فيلم «الهاوية» هو باكورة إنتاجه، وعرض في سينما بلفي بالإسكندرية، ثم في سينمات القاهرة عام 1931م، واستمر شخصاً مؤثراً، ويعد من أهم صنّاع السينما المصرية حتى العام 1948م، قبل أن يهاجر إلى إيطاليا ويستقر بها[5].

وكان كثير من الأجانب يعملون ككوادر فنية في السينما المصرية، خاصة الإيطاليين، على مستوى الإخراج والمونتاج والتصوير، وأيضاً في العملية الإنتاجية، وشايعهم السينمائيون

تأثير مشاهد العنف قد يخزن في العقل الباطن ويظهر على المشاهد بعد فترة

المصريون الذين تأثروا بهم مباشرة، أو تعلّموا في الغرب، وعادوا مشبعين بالسينما الغربية بكل ما فيها، من نزعات تغريبية، تقدّم الغرب بوصفه نموذجاً في الرقي والتقدم العلمي والإنساني والاجتماعي.

وقد أكثر صنّاع السينما في مصر، خلال الثلاثينيات والأربعينيات، في الاقتباس من السينما العالمية، مثل يوسف وهبي (1898 – 1982م)، وأنور وجدي (1904 – 1955م)، فتم تمصير الكثير من القصص العالمية، وتقديمها إلى الجمهور المصري، ومن أبرز هذه الأفلام فيلم «أمير الانتقام» لأنور وجدي (1950م)، وهو مقتبس من رواية «الكونت دي مونت كريستو» للكاتب الفرنسي «ألكسندر دوماس»، وأعيد تقديمه عام 1963م من بطولة فريد شوقي باسم «أمير الدهاء»، وما الاقتباس إلا شكل غير مباشر لترسيخ القيم الغربية وتصوراتها.

مظاهر تغريبية

لقد أضحى كثير من الأفلام المصرية نسخاً من الأفلام الأجنبية، خاصة الأفلام الغنائية، وكما تشير «موسوعة السينما العالمية»، فإن الأفلام الموسيقية لفريد الأطرش، ومحمد عبدالوهاب، وأم كلثوم، ثم عبدالحليم حافظ، جاءت تقليداً لمثيلاتها في السينما الغربية، وإن كانت لا تنافسها على المستوى الفني والتقني[6]، وقِسْ على ذلك كثيراً من الموضوعات التي درج صنّاع السينما المصرية -وأيضاً العربية بعد ذلك- على تقديمها، حيث تم تصوير الحياة الحديثة بأنها الحياة الغربية بما فيها من مباهج، فكثرت مشاهد الرقص، المصحوبة بالأغاني، وغلبت الأفلام الرومانسية، والإسراف في قصص الحب والغرام، ولقاءات العشاق، وإن حاولوا تمصيرها من خلال لقاءات على أسطح المنازل أو على شاطئ البحر أو النيل، وفي الحقول، وكأن الحياة لا شيء فيها إلا الركض خلف الحبيب، والفوز بقلبه، ناهيك عن مشاهد العلاقات الحميمية والقبلات التي لم يخلُ منها فيلم إلا نادراً.

وكانت الخمر جزءاً لا يتجزأ من مشاهد الأفلام يشربها البطل إذا كان مأزوماً نفسياً، فيلوذ بها؛ هارباً من أزمته النفسية، كما يعب منها البطل أيضاً إذا كان سعيداً مبتهجاً، وكأن شرب الخمر سلوك مألوف لدى الشعب المصري.

العالم العربي اضطر لفتح أسواقه السينمائية للاستيراد الأجنبي وهو ما أحدث غزواً ثقافياً وتغريبياً

التغريب بالسينما العربية كامن في جذورها بحكم أن صانعيها الأوائل كانوا من الأجانب

على صعيد آخر، سعت السينما إلى تقديم الفتاة النموذجية بأنها الفتاة المتبرجة، التي تخرج للتعليم والعمل، وتحرص على اختيار شريك حياتها، أما الحجاب فلا تظهر به إلا العجائز، أو النساء الريفيات، وكأن التحضر مرتهن بخلعه، وهو من الرسائل المبطنة التي حملتها السينما العربية، والمثال على ذلك فيلم «الباب المفتوح» (1963م) من بطولة فاتن حمامة، وصالح سليم، فالفتاة المثقفة المناضلة هي التي ترفض الزواج التقليدي، وتصر على التعليم الجامعي، وتتمسك بمن أحبّت.

أما شخصية المسلم المتدين، فقد جاءت منزوية، وإن ظهرت في بعض الأفلام، فهي تبدو في شخصية الشيخ «حسن البارودي» الذي ينافق العمدة، ويبيح له تطليق زوجة من زوجها، ثم زواج العمدة منها قسراً، ويقنع زوجها المسكين بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: 59)، وذلك في فيلم «الزوجة الثانية» (1967م)، أو في صور التعلق بالأضرحة والتبرك بها من جانب العامة البسطاء، الذين يتبركون بزيت قنديل السيدة زينب في القاهرة، ويتداوون به، ثم يأتي طبيب العيون خريج ألمانيا فيواجه هذا الدجل، كما في فيلم «قنديل أم هاشم» (1963م)، وكأن العلم الحديث يعادي الدين، بدون التفرقة بين الممارسات البدعية الخطأ، ومفهوم الإسلام الصحيح الذي يدعو للعلم والتقدم، فربط التدين بخرافات البدع والتبرك بالمقامات.

ودوماً ما حفلت الأفلام المصرية بشخصية الدرويش المنعزل عن مشكلات الحياة الدنيا الذي ينطق بهرطقات ينهيها بترديد كلمة «حيّ.. حيّ»، مثلما نراه في فيلم «عنتر ولبلب» (1952م)، الذي يحمل دلالة سياسية، تتمثل في الصراع بين ابن البلد الذكي اللماح (محمود شكوكو)، وسطوة المستعمر وتجبّره بالقوة المفرطة (سراج منير)، وكلما اشتد الصراع، نرى الدرويش يهرطق، ثم ينزوي مختفياً، والأمر نفسه نجده في فيلم «اللص والكلاب» (1962م)، عن رواية لنجيب محفوظ، وفيها صراع بين اللص المغرَّر به من طرف أحد الصحفيين الماركسيين، ودفعه إلى استحلال مال الأغنياء، ثم وشى به وأدخله السجن، وخرج اللص لينتقم منه، ونرى الدرويش غائباً عن الصراع في الدنيا، في خلوة دائمة بالزاوية، غير منتبه إلى شكوى اللص، ولا يجيب عن تساؤلاته هل كان على صواب عندما سرق أو عندما قتل انتقاماً!

إن السينما أداة عظيمة التأثير، ولا بد من استثمارها في بث القيم والأخلاق الفضيلة، والتعبير عن هوية المجتمع، ومناقشة مشكلاته وأزماته، وأيضاً تطلعاته وأحلامه، ولا بد من وضع خطط وطنية، تدعم صناعة السينما لتكون سينما تصوغ هويتنا الثقافية النابعة من الإسلام والعروبة، ولا تتركها عرضة لتقلبات السوق، وأهواء المنتجين الراكضين خلف الأرباح، ولا لتكون ساحة مستباحة للأفلام الأجنبية بكل ما تحمله من تغريب، وانمحاء للهوية، وتغييب الذات الوطنية، وقضاياها الحياتية.■

الهوامش

(1) التغريب والغزو الصهيوني، عمر التومي الشيباني، مجلة الثقافة العربية، طرابلس، ليبيا، ع.10، 1982، ص162.

(2) السينما في الوطن العربي، جان الكسان، سلسلة عالم المعرفة، 1982، ص8، 9.

(3) موقع اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم)، http://www.unesco.org/new/ar/culture/themes/dynamic-content-single-view/news/nollywood__rivals__bollywood__in__filmvideo__production-1/

(4) موقع وكالة الأنباء الكويتية (كونا) https://www.kuna.net.kw/ArticlePrintPage.aspx?id=1206511&language=ar

(5) من ذاكرة السينما: توجو مزراحي، مجلة ذاكرة مصر، مكتبة الإسكندرية، أكتوبر 2015، ص57.

(6) السينما العربية، في موسوعة تاريخ السينما في العالم، ترجمة: أحمد يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2010، ج3، ص565، 566.

www.mugtama.com

ذات يوم جمعنا مجلس بصديق، وكان قد أنهى الماجستير في العلوم السياسية بإحدى الجامعات الأوروبية، فطرح علينا هذا السؤال: هل حقاً حظيت دراسة السياسة في الإسلام بالجهد المناسب؟ ألا نحتاج لإعادة قراءة كيف أديرت السياسة؟ وكيف استجاب الحكام والفقهاء والقضاة لتعقيداتها؟ أليس من الضروري أن نكشف -من الناحية العملية التطبيقية- عن نسبية السياسة؛ مدنيتها، سلطة الشريعة، وكيف تم تعريفها وتطبيقها في سياقات مختلفة، وحدود البراغماتية والمصلحة؛ فضلاً عن التعددية والحرية واستقلال المجتمع وحيويته؟

ألم تكن أسئلة السياسة التي تصدى لها «ميكيافيللي»، و«هوبز»، و«لوك»، و«روسو» هي تقريباً ذاتها التي تصدى لها الماوردي، والجويني، وابن تيمية، وابن خلدون، وابن رشد.. فإلى أي حدّ تشابهت الإجابات؟ وإلى أي حدّ اختلفت؟

وانفتح نقاش حول هذه الأسئلة، نقاش لم ينته ولا أحسبه ينتهي يوماً ما، فتلك الساحة من المقارنات والقراءات تلد كل يوم جديداً، لكنْ ثمة شيء يثير التأمل في سياق هذه الأسئلة، وهو هذه الروح الغربية السائرة فيها، التي تبدو في رنين المصطلحات وإيحاءاتها، كما تبدو في طبيعة تعريف الموضوعات، فذلك هو ما يهمنا مناقشته في السطور القادمة.

مع التأكيد التام على أن صاحبنا السائل هو من الأفاضل، ولستُ أحسبه من المنبهرين بالغرب ولا من المتجافين عن تراثه الإسلامي، لكن طبيعة الدراسة التي نتلقاها في الجامعات إنما تنصبغ وتنفعل بالرؤية الغربية بطبيعة الحال، فلا تزال جامعاتنا ومعاهدنا العلمية تقفو أثر المناهج الغربية المتشبعة برؤيتها وفلسفتها وتصورها للأمور.

كلمة في «تغريب» الفكر السياسي

محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

يبدأ مفتاح النقاش من فهم معنى كلمة «السياسة»، فهذه الكلمة (السياسة) في عصر الحداثة صارت تعني كل شيء تقريباً؛ لشمول نشاط السلطة كافَّة الجوانب داخل الدولة، بينما هي فيما قبل كذلك تنصرف إلى جانب الأمن والدفاع وما يتعلق بهما، وبعض ما نعنيه اليوم بـ«الاقتصاد».

لهذا، فإن كان المعنى المقصود بالسياسة هو معناها الآن في زمن الحداثة، فأحسب أنه لن يوجد مفكرون غربيون أسهموا في هذا بالقدر الذي أسهم فيه المسلمون، لسبب بسيط، وهو أن أغلب الإنتاج الإسلامي في الفكر السياسي

أغلب الإنتاج الإسلامي السياسي أنتجه فقهاء وأكثرهم تولوا مناصب القضاء ومارسوا الفتوى

إنما أنتجه فقهاء، وأكثرهم تولوا مناصب القضاء، وكلهم مارسوا الفتوى، فكانوا على معرفة عميقة بتفاصيل الشؤون الاجتماعية والمالية، وجرى استفتاؤهم في شؤون الجهاد والأسرى والأموال والإدارة، فكتبوا فتاوى كما كتبوا فقهاً، بينما عموم المفكرين السياسيين الغربيين لم يكونوا على اطلاع تفصيلي بسائر هذه الجوانب، وإنما عُرفوا بجانب أو جانبين منها، حتى من كان منهم سياسياً أو قاضياً أو مستشاراً فلم يكن جامعاً لبقية شؤون الرعية ولا يُلجأ له فيها.

ومن ثَمَّ يبدو طبيعياً أن إنتاج ثمرات المفكرين السياسيين الغربيين -بمن في ذلك أسماؤهم اللامعة- إنما يغلب عليها الكلام في النظرية السياسية، وأقل منه الكلام في النظم السياسية، ثم أقل منه الكلام في العلاقات الدولية، ويغلب في هذه الأبواب كلها المعالجة النظرية التي تحاول القبض على تصور فلسفي محكم يفسر حركة السياسة والاجتماع ليصدر عنها تصور التنظيم والتطبيق.

بينما يجد ذو الخبرة بكتب الفقه المذهبي والفتاوى والنوازل تراثاً ضخماً كله متعلق بالموازنة في القضايا المعقدة، ومحاولة تحقيق مفهوم الموازنة بين المصالح والمفاسد والأضرار والمنافع، وهذه الموازنات هي التي تطور بها وتفرع علم أصول الفقه والمقاصد وما يشتملان عليه من معايير صناعة الفتوى، حتى إن كثيراً من الكتب التي تُصَنَّف في باب السياسة الشرعية تحتوي على مسائل في البيئة والعمران والتخطيط ورعاية الحيوان وغيرها، لهذا فالمدونة الفقهية أبعد ما تكون عن أنها مدونة سلطانية أو سياسية بحتة، إنها مدونة حافلة بالنقاش العميق في الأمور المعقدة، ومن ثم فقد اتسعت فيها مساحة النظر للقاضي والمجتهد، كما اتسعت فيها مساحة الصلاحيات للأمير والوالي.

تنوع الفقه الإسلامي

ومن هنا نجد الفقه الإسلامي شديد التنوع والثراء، حتى إن أحكامه التكليفية هي في حدها الأدنى على خمسة مراتب: الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام

التغريب..
وخطره على الأمة

(ويتطور في مذهب الأحناف إلى بضع عشرة درجة)، بينما ينحو الفكر السياسي الغربي إلى الضبط القانوني وإحكام التفصيل حتى تضيق المساحة على اجتهاد القاضي، وتضيق المساحة على تصرف الرئيس، وبغض النظر الآن عن الأسباب التي دفعت إلى هذا والتي هي أصيلة في بنية النظام السياسي والاجتماعي، إلا أن الشاهد المقصود هنا أن التراث السياسي الإسلامي كان أوسع وأكثر مرونة لاستيعاب المستجدات والنوازل، ومائلاً إلى توسيع وتكثير التصنيفات والأقسام والمراتب، بينما كان هذا على العكس منه في التراث السياسي الغربي.

ومما يلفت النظر هنا أن علماء أهل السُّنة قرروا السكوت في بعض القضايا، كقضية الفتنة بين الصحابة، التي هي ذروة التعقد في الموازنات السياسية واشتباه الموقف، وذلك مع كونهم يقررون أيضاً أن المُصيب هو علي رضي الله عنه، وأن المخطئ هو معاوية، فالتجربة تشهد أن أقل الناس هم من يستطيعون الحكم في الأمور المعقدة، وهذا واقع نراه بأنفسنا وفي أنفسنا، فكم تحيرنا نحن في قضايا أبسط بكثير، وكم نتضايق حين نجد من يستخف بالقضية المعقدة فيُصدر فيها حكماً جازماً حاسماً ببساطة واستسهال.

ثمة مشكلة أخرى تطالعنا لدى الحديث عن السياسة في الإسلام، تلك هي أن ألفاظ هذا الحقل تحمل ظلالاً سلبية أو أيديولوجية، يعني حين نستعمل مثلاً عبارات من قبيل «نسبية السياسة»، «مدنية السياسة»، «حدود البرجماتية»، فإن هذه الظلال تدفع القارئ إلى محاولة تبرئة الفكر السياسي الإسلامي منها، أو إلى محاولة وصمه بها (حسب موقفه العام من الفكر السياسي الإسلامي)، ومن هنا؛ فإن وجود مثل هذه الألفاظ يُعَقِّد -عملياً- النقاش المتعمق في المعاني الكامنة وراءه، التي من الوارد جداً أن صاحب الكلام لم يقصد إيحاءاتها السلبية.

أهم ما في الأمر هنا أن الفكر السياسي الإسلامي كان وليد العقلية الفقهية، يعني أنتجه فقهاء، والفقهاء لم يكونوا طبقة متميزة، بل كانوا شبكة متغلغلة داخل المجتمع، وكانوا في أعم الأحوال ممثلي المجتمع أمام السلطة، فضلاً عما نعرفه جميعاً من أن السلطة لم تكن متغولة على كل أنشطة المجتمع.. ماذا يعني هذا؟

يعني أن الفقهاء كانوا دائماً قوماً عمليين

إنتاج المفكرين السياسيين الغربيين يغلب عليه الكلام في النظرية السياسية وأقل منه في النظم السياسية والعلاقات الدولية

الفكر السياسي الغربي ينحو إلى الضبط القانوني وإحكام التفصيل فتضيق المساحة على اجتهاد القاضي

لا فلاسفة ولا منظرين ولا مفكرين ولا منفصلين عن الواقع؛ كانوا مغروسين دائماً في الموازنات المعقدة الناتجة عن مسائل الناس وأحوالهم وعلاقتهم بالسلطة وعلاقة السلطة بهم، ولهذا كان عموم إنتاجهم أكثر واقعية وعملية من أن يسمى «فكراً سياسياً»؛ لأن كلمة «فكر» في قاموسنا المعاصر تحمل معنى تنظيرياً تجريدياً فوقياً.

فأسماء الماوردي، والجويني، وابن تيمية، وابن خلدون، وابن رشد تقذف إلى أذهاننا معنى الفقيه الكبير الذي عمل بالقضاء، وكان على دراية قوية بالنصوص الجزئية، وكان مرتبطاً بواقعه، فمثلما كان له اجتهاد في فقه الطهارة والعبادات والمعاملات المالية والاجتماعية وحتى في الرقائق والتصوف، كان له إسهامه القوي في السياسة، كانت خبرته العملية الواقعية المجتمعية التفصيلية ودرايته القوية بالنصوص الجزئية الفرعية تجعله قادراً على إنتاج النظرية السياسية أو الفتوى السياسية وهو مستوعب لظروف كثيرة.

بينما أسماء «لوك»، و«هوبز»، و«ميكيافيللي»، و«روسو» لا تقذف إلى أذهاننا ذات المعنى، بل هي أسماء مفكرين أكثر تنظيراً وتجريداً وفوقية وعمومية، ربما نال أحدهم منصباً سياسياً أو كان مستشاراً أو نحو ذلك، ولكن أحداً منهم لن يكون أبداً بخبرة القاضي الفقيه الذي انغرس في أحوال الناس ووازن طويلاً وهو يتأمل مسائلهم وحيلهم في استخلاص الفتوى أو الحكم منه.

ويبدو أثر هذا جلياً واضحاً في أن ابن تيمية، والجويني، وابن خلدون كانوا يتعاملون أكثر في مستوى التطبيق، بينما «ميكيافيللي»، و«روسو»، و«جون لوك» وغيرهم كان إسهامهم الفكري الأبرز في ميدان التنظير، وميدان التنظير قد استغنى فيه المسلمون بنصوص قرآنية ونبوية عن كثير من إشكالاته، لم يُرهق العقل الإسلامي بمحاولة تحديد الأساس النظري الفلسفي لعلاقة الحاكم بالمحكوم، وبمعنى السيادة، ومن أين يكون استمدادها، وكيفية تحققها، وكيفية انتهائها، وحتى هذه اللحظة لا يستطيع «لوك» ولا «هوبز» ولا «روسو» ولا غيرهم تقديم أساس تاريخي عملي تحققت فيه الفكرة المركزية الفلسفية التي نَظَّروا لها في العلاقة بين السلطة والناس.

www.mugtama.com

بينما هذا كله لم يكن المسلمون بحاجة للتنظير فيه؛ لأنه محلول بنصوص القرآن والسُّنة وسيرة الخلافة الراشدة، كان الفقهاء المسلمون مشغولين بكيفية الاقتراب من نموذج دولة النبوة والخلافة الراشدة، وباستخلاص منهجهم وطريقتهم في التعامل مع الموازنات.

بين الفقهاء والفلاسفة

لقد كانت طريقة الفقهاء أنسب وأقرب إلى شأن السياسة وواقع الناس وتعقيدات الحياة من طريقة الفلاسفة، وكان ميلهم إلى المعالجة العملية أصوب من البقاء في فراغ النظرية الفلسفية والرؤية المثالية، ومن هنا كثر في طريقة الفقهاء التفريع والموازنة بالحديث عن المصلحة والمفسدة وجلب المنفعة ودفع المضرة واحتمال أدنى المفسدتين ونحو ذلك، وهو المسار الذي أنتج البناء الفقهي الإسلامي الضخم الذي حفل بقواعد الموازنة بين النصوص لاستخلاص الحكم، وقواعد الموازنة بين الأحوال لإصدار الفتوى.

بينما كانت طريقة الفلاسفة والمفكرين والمنظرين كثيرة التفريع والتشقيق في التعريفات والمصطلحات وضبط حدود المعاني والمفاهيم، ولئن صحَّ بشكل عام أن التطبيق السياسي كان مخالفاً للنظرية السياسية في كل التجارب الإنسانية، فيصحّ أيضاً أن تأثير المعرفة الإسلامية والنظرية الإسلامية في واقع المسلمين كان أعلى بكثير من تأثير الفلسفة الغربية في واقع التطبيق الحضاري الغربي.

يبقى سؤال: هل بُحثت السياسة في الإسلام بما يناسب أهميتها؟

تقديري أن السياسة الشرعية كتب فيها كثير جداً جداً، بل فيها تخمة، كثير منها مجهول، ويمكن مطالعة كتاب د. نصر عارف «مصادر التراث السياسي الإسلامي» لتصور حجم المنتج التراثي، كما أن جامعات العالم الإسلامي حوت كثيراً جداً من المتخصصين في السياسة الشرعية، لكنهم لم يبرزوا إعلامياً مثل فتحي الدريني، وفتحي عبدالكريم، ومنير البياتي، وسعدي أبو جيب، وضياء الدين الريس، ومحمد بلتاجي حسن، والدميجي، وسامي الوكيل، والطريقي، ومحمد يسري إبراهيم، وعطية عدلان، فضلاً عن المشاهير كالسنهوري، والقرضاوي، والشاوي، وحاكم المطيري، وسعد العتيبي، والطريفي، وإبراهيم السكران، وفهد العجلان.. وغيرهم.

ومهما اختلفنا في شأن هؤلاء من حيث الكثرة والقلة في الإنتاج، أو من حيث العمق والتبسيط، أو حتى من حيث الصواب والخطأ، فإن المقصود هو أن الإنتاج الإسلامي في السياسة الشرعية كثير، ولكنه مغمور فضلاً عن أنه غير مُفَعَّل، إن سؤال الدولة الذي ضغط على المسلمين طوال قرن أو أكثر أنتج أجوبة كثيرة عنه.

إلا أن أهم ما في كتب السياسة الشرعية أنها لم تبرر الواقع ولم تلفق له، ولو أنها فعلت لما ظللنا حتى اليوم نتحدث ونتجادل في التغلب وفي ولاية العهد، جدالنا هذا نفسه هو ثمرة من ثمرات أجدادنا الفقهاء العظماء الذين حفظوا لنا الدين وأخبرونا في كل كتبهم أن ولاية التغلب تجوز في الاضطرار، وأن ولاية العهد تجوز في الاضطرار، وتحت ضغط الموازنات الواقعية، وأن الأصل هو التولية الرضائية باختيار الأمة الحر، وهذه هي القيمة العظيمة لتراثنا العلمي العظيم، أنه لم تصنعه سلطة ولم تتحكم فيه سلطة، وإنما كان الفقيه يُقرر الأصل ثم يجيز ما هو خلاف الأصل للضرورة والموازنات.

بينما عموم الفكر السياسي الغربي أنه كان وليد بيئته وأوضاعه، ولذلك فهو يحمل من السيولة والاختلاف والتضارب ما لا يمكن معه الحديث عن «فكر سياسي غربي» إلا بنوع من التعميم الواسع ولغرض التصنيف الدراسي لا غير، وبين هذه المدارس الفكرية من التناقض ما لا يمكن رفعه، فإذا استطاعت فكرة ما أن تنجح في أرض الواقع وتطبق نفسها فليس لها معيارٌ إلا نفسها، ولا يمكن أن تُحاكَم إلى أي معيار آخر يمثل أساساً ثابتاً ومستقراً.

إن الملكية التي تبدو عيباً خطيراً في مدرسة ما تبدو مقبولة تماماً في مدرسة أخرى، واحتكار الأسواق والتحكم في التجارة يبدو ظلماً شنيعاً في مدرسة ما بينما يبدو ذروة العدالة في مدرسة أخرى، وعلى كل فكرة أن تجاهد لتحقيق نفسها في الواقع لتفرض قيمها وتجعلها قيمة كونية وعلامة حضارية.■

عبدالرزاق السنهوري | د. توفيق الشاوي | د. يوسف القرضاوي

القيمة العظيمة لتراثنا العلمي العظيم أنه لم تصنعه سلطة ولم تتحكم فيه

طريقة الفقهاء كانت أقرب إلى شأن السياسة وواقع الناس من طريقة الفلاسفة

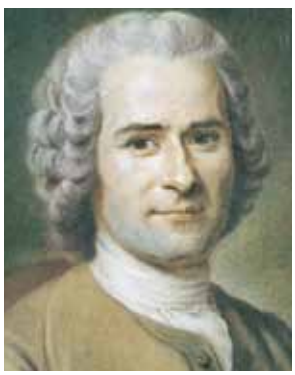

جان لوك | ميكيافيللي | جان جاك روسو

الاستقطاب.. بين دع

أحمد طه
باحث وكاتب مصري

شهد الفضاء المصري خلال السنوات الماضية عدّة معارك جدلية، دارت حول عدة أمور مثل الحجاب، وأحكام المواريث في الشريعة الإسلامية، بالتزامن مع صيحات تجديد الخطاب الديني التي يطلقها «التنويريون» إيّاهم، بين حين وآخر، فضلاً عن انطلاق حملات متتابعة تجاه الأزهر، تستهدف رموزه، وشيوخه، ومناهجه، وتاريخه، وترميه بأنه معقل الجمود، والتطرف، وتطالبه بضرورة تجديد خطابه، وتغيير مناهجه كي تتواءم مع روح العصر.

من الوضوح أن هذه المعارك ذات الطابع الهوّياتي تدور حول مدى حضور الدين في المجال العام، ودوره الذي يؤديه بين الشرعي، والسياسي، والاجتماعي، وتعدّ تلك المعارك جولات مُتكرّرة، لمسلسل الاستقطاب الإسلامي - العلماني في مصر.

«مناكفة ومكايدة الإسلاميين»، كان هو العنوان الرئيس للمعارك ذات الطبيعة «الاستشراقية» التي افتعلها غالبية العلمانيين المصريين في الفترة الأخيرة، حيث انصبّت كلّ جهودهم تقريباً في اتجاه تقويض الهوية الحضارية، وملاحقة مظاهرها، ومحاولة تحجيم حضورها في المجال العام، في حين أنها غابت بصورة شبه كلية عندما يتعلّق الأمر بالحقوق والحريات، وبالقضايا التي تُعدّ من صميم الليبرالية.

فقد انشغل العلمانيون طيلة السنوات الماضية بالإجابة عن سؤال كيفية مكايدة الإسلاميين ومناكفتهم وتحجيم حضورهم، أكثر من محاولاتهم كسر حالة الهزال الجماهيري، والضمور الشعبي، التي يعانون منها منذ عقود، عبر التمدّد ومحاولة بناء قواعد شعبية، واكتساب أرضية مجتمعية، بالاشتباك مع قضايا تمس اهتمامات عموم المصريين؛ وهو ما أوقع العلمانيين في تناقضات ذاتية صارخة، ودفعهم إلى ارتكاب أخطاء أيديولوجية، وفكرية، وأخلاقية فادحة، تمثّلت في تنكّرهم لأبسط مبادئ الليبرالية، عبر تحالفهم مع قوى سلطوية، واصطفافهم مع توجّهات «دولتية» فجّة، وتأييدهم لإجراءات استثنائية بالغة الخشونة نكاية في خصومهم الإسلاميين.

كل تلك المواقف العجيبة التي اتّخذها بعض العلمانيين المصريين، مؤخراً، تدفعنا لاستدعاء مواقف أخرى صدرت من رموز ليبرالية تاريخية، تندرج تحت ما يمكن أن نسميه «الليبرالية الوطنية» المتصالحة مع الهوية الحضارية، فلم تقع في تلك الوهدة «الاستشراقية» التي سقط فيها أدعياء الليبرالية، من «المتلبلرين» والعلمانيين المتطرّفين في الحاضر، فقد كانت تلك الرموز التاريخية الليبرالية ترى دوماً أن لنا «مرجعية حضارية» مميّزة لمجتمعاتنا ينبغي احترامها، تحمل قيمنا، وتاريخنا، وثقافتنا، وهو ما دفعها إلى قصر مفهوم العلمانية على فصل الدين عن السياسة، لا فصل الدين عن المجتمع، وسلخه عن هويته، وتبني قطيعة معرفية كاملة معها، والسعي للصدام مع قيم مرجعيته الحضارية المميّزة للتشكيل الحضاري العربي الإسلامي.

فعلى سبيل المثال، عندما أصدر قاسم أمين كتابه «تحرير المرأة»، انبرى كثيرون للردّ عليه، وكان في مقدّمتهم الليبرالي الوطني العظيم طلعت حرب باشا -أحد رموز الحركة الوطنية المصرية- عبر كتابَيْن كاملَيْن تحت عنواني «تربية المرأة والحجاب»، و«فصل الخطاب في المرأة والحجاب»، هاجم خلالهما ما تبنّاه قاسم أمين من مرجعية غربية في دعواه لتحرير المرأة، مشدّداً على أن الدين الإسلامي لا يمنع مطلقاً من تعليم

جهود العلمانيين انصبّت مؤخراً باتجاه تقويض الهوية الحضارية وملاحقة مظاهرها بالمجال العام

رموز تاريخية ليبرالية ترى أن لنا مرجعية حضارية مميّزة ينبغي احترامها لأنها تحمل قيمنا وتاريخنا

مفهوم العلمانية تجاوز عند العلمانيين الجدد فصل الدين عن السياسة إلى فصله عن المجتمع وسلخه عن هويته

ـــاوى التغريب والتطرف

المرأة وتهذيبها وتربيتها، بل هو يحضّ على ذلك ويأمر به، مختتماً الأول منهما بقوله: «الحجاب أصل من أصول الأدب، فيلزم التمسّك به، إلا أن المطلوب أن يكون منطبقاً على ما جاء به الشرع».

وخلاصة ما ذهب إليه طلعت حرب في كتابه هو التأكيد على نقطة الحفاظ على هويتنا الحضارية من الاستلاب أمام الحضارة الغربية، وأنّ الحجاب ليس «فريضة شرعية» وحسب، وإنّما هو سمة من سمات «الخصوصية الحضارية» التي يجب التمسّك بها في مواجهة موجات التغريب ومشروعات الاستشراق.

ونستحضر أيضاً هنا ردّ الزعيم الوطني مصطفى كامل باشا، أحد روّاد مدرسة «الوطنية الإسلامية»، فقد كتب عدّة مقالات في صحيفة «اللواء» جاء فيها: «فنحن مصريون، ويجب أن نبقى كذلك، ولكل أمّة مدنيّة خاصة بها، فلا يليق بنا أن نكون قردة مقلّدين للأجانب تقليداً أعمى، بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا، ولا نأخذ عن الغرب إلا فضائله، فالحجاب في الشرق عصمة، وأي عصمة، فحافظوا عليه في نسائكم وبناتكم، وعلموهنّ التعليم الصحيح، وإن أساس التربية التي بدونه تكون ضعيفة، وركيكة غير نافعة».

والقاسم المشترك بين كلام حرب، وكامل، هو التأكيد على نقطة الحفاظ على هويتنا الحضارية من الاستلاب أمام الحضارة الغربية، وأنّ الحجاب ليس «فريضة شرعية» وحسب، وإنّما هو سمة من سمات «الخصوصية الحضارية».

وفي السياق نفسه، يُروى عن الزعيم مصطفى النحّاس باشا (وهو أحد روّاد الليبرالية الوطنية المتصالحة مع الهوّية الحضارية التي تختلف عن الليبرالية الأوتوقراطية ذات الطبيعة الاستشراقية) أنه كان شديد التديّن، فلم يكن يتخلّف عن صلاة الفجر إلا نادراً، كما كان له وردٌ قرآني يومي، وبالرغم من هذا فإنه كان يرفض استخدام الدين في العمل السياسي، فقد كان مع إبعاد السياسة عن الدين، وليس إبعاد الدين عن السياسة، حتى إنه عنّف أحمد حسين، زعيم «مصر الفتاة»، على شعارها الذي كان «الله.. الوطن.. الملك»؛ لأنه رأى أن وضع كلمة «الله» في شعار سياسي لون من الشعوذة.

العلمانيون الجدد

إلا أن مفهوم العلمانية يتجاوز عند «العلمانيين الجدد» نقطة فصل الدين عن السياسة، إلى مرحلة فصل الدين عن المجتمع، وسلخه عن هويته، وتبني قطيعة معرفية كاملة معها، والسعي للصدام مع قيم مرجعيته الحضارية، ونفيها بالكلية من المجال العام وشطبها من العقل الجمعي للمجتمع، وتحويله إلى مجتمع منزوع المرجعية، وهو أمر غير قابل للتحقق حيث لا توجد دولة، ولا نظام، ولا فرد، ولا جماعة، إلا ولها مرجعية ما في تعاملاتها، ونظمها، وعلاقاتها، تتكوّن من الأصول الفكرية، والثقافية العامة التي تؤمن بها الجماعة، وتشكّل قوة التماسك الأساسية في تشكّلها، بوصفها جماعة بشرية وفقاً لطارق البشري.

المفارقة الطريفة هنا أن العلمانيين يُسَدون بتلك الحملات التي تتبنّى ذلك الخطاب -من دون قصد منهم- خدمات جليلة لتيارات التطرّف، التي تقتات على ذلك الخطاب الاستشراقي التغريبي المتطرّف، وتستمدّ منه مبررات حضورها، فثمّة علاقة خفية وطيدة بين التغريب والتطرّف، فكلّما ارتفعت دعاوى التغريب انتشر التطرّف والعكس صحيح، فالتغريب هو أفضل وقود لنشر التطرّف.

عملية «العلمنة» التي يتبناها بعض العلمانيين، هي الوجه الآخر لعملية «الأسلمة» التي ينتهجها بعض الإسلاميين من أتباع التنظيمات والجماعات الحركية، وكلتاهما محكوم عليها بالفشل، لأنهما تقومان على فرضية نقصان أهلية المجتمع وعدم بلوغه الرشد، واستخدام أنياب الدولة لفرض الوصاية عليه.

ولا بد أن يدرك الفريقان أن المجتمع هو وحده الذي يختار مرجعيته الحضارية، وليس بإمكان أحد أيّاً كان أن يفرضها عليه، كما أنّ المجتمع هو الوصيّ على المنظومة القيمية والأخلاقية، وليست الدولة وصيّة عليها إلا بالقدر الذي يمنحه لها المجتمع.

أُصيبت ثورة 25 يناير بانتكاسة كبيرة بعد سقوطها في هاوية الاستقطاب الإسلامي - العلماني، الذي أشعله فريقان؛ ظنّ أحدهما أنّ الثورة قامت لإعادة اكتشاف الهوية الحضارية، بينما ظنّ الثاني أنّها فرصة لسلخ المجتمع عن هويته، في حين غابت مطالب الثورة، وغاب الوعي بالتناقض الرئيس مع شبكات المصالح الفاسدة، وبجوهر الصراع السياسي والاجتماعي، والمعركة الحقيقية مع البنية السلطوية المتجذّرة، واحتكار السلطة والثروة، وتغوّل الدولة على المجتمع، وبكل أسف يبدو أنّ هذا المشهد الاستقطابي مرشّحٌ للتكرار مستقبلاً.

هذه المشاهد الجدلية ليست حالة استثنائية منفصلة، وإنّما هي حلقات في سلسلة طويلة متصلة، تمتدّ جذورها إلى نشأة الدولة الوطنية الحديثة في العالم العربي، والتشوهات الخلقية التي صاحبت ولادتها، بعد فشلها في تقديم إجابات عن أسئلة بنيوية كبيرة، متعلّقة بالهوية الحضارية، وحضور الدين في المجال العام، والموقف من التغريب، وتذويب الذات الحضارية، والموقف من التراث، والصراع التاريخي بين الوافد والموروث، وإشكالية العلاقة بين الديني والسياسي.

وعليه، فمن المتوقع أن نشهد في المستقبل القريب حلقات جدلية جديدة ذات طبيعة استقطابية نخبوية، حتّى يأتي وقت تحصل فيه تلك الأسئلة العالقة على إجابات «الحدّ الأدنى»، التي تقود بدورها إلى نواة تمثّل توافق «الحدّ الأدنى» بين النُخَب من الإسلاميين والعلمانيين، يتفقون فيه على إطار فكري وسياسي لإدارة الخلافات فيما بينهم، وعدم انفجارها إلى صراع صفري، يجنح خلاله كل طرف إلى الإجهاز على الآخر، فلن يشهد المجال العام العربي قدراً من الاستقرار، حتى يعرف العلمانيون أنّ احترام المرجعية الحضارية للمجتمع، وحضور الدين في المجال العام، لا يعني ردّة حضارية، أو النيْل من الحريّات، وحتى يعرف الإسلاميون أنّ مناخ الحريّات لا يعني الانحلال القيمي والأخلاقي، أو استباحة المُقدّسات.. وحتى ذلك الحين سيستمرّ هذا الصراع، وستتجدّد جولات تلك المعارك الاستقطابية.■

www.mugtama.com

الأسرة والتغريب.. بين الأمس واليـــوم

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

إذا كان لا يمكننا الفصل في تحدي التغريب بين قضايا الأسرة وقضايا المجتمع ككل؛ فهناك علاقة جدلية بين ما تتعرض له الأسرة وما يتعرض له المجتمع، حتى إننا نستطيع قراءة المشهد كاملاً إذا تم تسليط الضوء على المخططات التي تعرضت لها الأسرة؛ حتى يتم تفكيك بنيتها القديمة وتشكيل بنية جديدة متوافقة مع المعايير والقيم الغربية المستحدثة، وهي مخططات عميقة الجذور متعددة المستويات والمراحل؛ لأنها تحاول تفكيك واحدة من أشد البنى المجتمعية رسوخاً في بلادنا، ولأن الانتصار في هذه المعركة يعني ببساطة أن ما بعدها بالغ السهولة.

في معركتنا مع التغريب لا بد أن نعترف أن ثمة نقاط ضعف بعضها بالغ الفداحة موجودة في محيطنا الداخلي، وفي بنيتنا الأسرية العميقة؛ فكثير من القيم الأسرية الحاكمة هي نتيجة لمجموعة عادات وتقاليد ظالمة بعضها يعود للعصر الجاهلي بشكل صريح، وبعضها الآخر مزج بين قيم العصر الجاهلي وبعض الأفكار المغلوطة التي شاعت في عصور الانحطاط عن الدين، بدأت معركة التغريب في بلادنا باستثمار مدروس لنقاط الضعف هذه، وجعلها نقطة ارتكاز محورية للتفكيك لينطلق بعضها لآفاق أكثر اتساعاً وأشد تطرفاً.

ويمكننا في هذا الصدد التمييز بين موجتين كبيرتين للتغريب تعرضت لهما الأسرة المسلمة.

يعد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هو التوقيت الصحيح الذي انطلقت منه الموجة الأولى من التغريب؛ حيث شكل المناخ الثقافي السائد بيئة خصبة ترعرعت فيها كل صور التقاليد الظالمة التي حكمت الأسرة كما حكمت المجتمع كله حالة من التأخر الحضاري الشامل في ظل الاستعمار، ضربت كل نواحي الحياة، وكان المصلحون في هذه المرحلة يسعون للتعامل مع قضايا المرأة والأسرة بطريقة التوالي؛ أي أنه بعد التحرر من الاستعمار نبدأ في التعامل مع المظالم الداخلية الموجودة في المجتمع، وعلى رأسها ما تعيشه المرأة والأسرة مما لا علاقة له بالدين (وإن ألبسهم البعض ثوبه مستنداً إلى آثار غاية في الضعف)، بينما تعامل الاستعمار وأعوانه بطريقة التوازي، فضرب جميع مناحي الحياة بالقوة الخشنة والقوة الناعمة، ومن ذلك ما تعرضت له الأسرة المسلمة من صدمات البداية.

ويمكننا النظر لكتاب «المرأة الجديدة» لقاسم أمين كنموذج واضح لا لبس فيه للموجة الأولى للتغريب، التي وإن بدأت في ظل رفض عارم لها، إلا أنها استطاعت في غضون عقود قليلة أن تحقق إنجازات حقيقية وملموسة في الواقع الفعلي الذي تجاوب مع المضامين الجديدة التي ويا للعجب تم تسويقها باعتبارها السبيل الحقيقي للتخلص من الاستعمار! وهو ما عبر عنه د. طه حسين بشكل صريح: «إن سبيل النهضة واضح بيِّن مستقيم ليس فيه عوج ولا التواء، وهو أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاءً في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب»[1].

معركة التغريب بدأت في بلادنا باستثمار مدروس لبعض نقاط الضعف وجعلها نقطة ارتكاز محورية

التيار الإصلاحي أُخرج عمداً من المواجهة وبقي التيار التغريبي وحيداً يعرض مشروعه وينفر من التيار الإسلامي

تغريب بالإكراه

الموجة الثانية الكبيرة من التغريب هي ما نعيشه هذه الأيام؛ فمنذ سبعينيات القرن الماضي ظهر تيار إصلاحي جديد بدأ بالعمل على الإصلاح بمنطق التوازي، وقدم إسهامات تجديدية في شتى قضايا الأسرة والمرأة، وحقق إنجازات ملموسة مع الظهير الشعبي، وشاركت النساء في صوغ هذا المشروع، وظهرت نوعيات غير نمطية منهن شاركن في صناعة هذا المشروع، حتى إن الكثيرات منهن نشأن في أسر عاشت التجربة التغريبية سواء على مستوى الفكر أو السلوك، ورفضنها وقررن بشكل واع أن يصبحن جزءاً من تيار الإصلاح النهضوي الجديد القائم على الأسس الإسلامية.

وما يميز هؤلاء النساء أيضاً أنهن تلقين تعليماً عالي الجودة، واستطعن التمييز بوضوح بين التحديث؛ حيث الاستفادة من العلوم الغربية بشتى مجالاتها المعرفية حتى على مستوى الإنسانيات مع نمو عقلية نقدية واعدة وبين التغريب من حيث هو تذويب للهوية واستلاب عاطفي ونفسي وشعوري.

بدأت الموجة الثانية من التغريب، إذن، بشكل عكسي؛ حيث تيار تغريبي مسيطر على الجامعات ومناحي الحياة الثقافية، لكن في المقابل نشأ تيار إصلاحي بدأ يشق طريقه مستفيداً من تجارب الماضي، سواء منها ما يتعلق بالتوازي في النظر للقضايا،

www.mugtama.com

أو بشنه هجوماً عنيفاً على الأفكار التقليدية العفنة البائدة التي حاربها بنفس القوة التي واجه بها تيار التغريب.

وأصبح هذا التيار الإصلاحي الجديد رقماً صعباً في أي معادلة، حتى اضطر التيار التغريبي للاحتماء بحزمة التشريعات الدولية لتخريب الأسرة بدءاً من اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة، ثم ما حدث في مؤتمر القاهرة للسكان ومقررات بكين وما تلاها، التي لم تعد مجرد مؤتمرات تقدم التوصيات، ولكن أصبح لها صفة إلزامية ومتابعة دورية لمتابعة تنفيذ المقررات وتضمينها في القوانين الوطنية، بحيث يتم تدويل القيم الأسرية في حد ذاته لصالح الرؤية الغربية للحياة الاجتماعية؛ فبينما يولي ما يطلق عليها خدمات الصحة الإنجابية أولوية الرعاية لحمل المراهقات، يتم تجريم الزواج المبكر للفتاة باعتباره انتهاكاً لطفولتها، وبينما يتم وصم المهر بثمن بيع الفتاة، يتم الحديث عن العمل المأجور كطريق وحيد لتمكين المرأة الاقتصادي؛ بل إن الأمر يتجاوز ذلك كله لفرض الرؤية الجندرية على مجتمعاتنا.

والجندر في أبسط تعريف له يعني أن الجنس البيولوجي (ذكر وأنثى) لا يرتبط بالجنس الثقافي (رجل وامرأة)، أو كما قالت «سيمون دي بوفوار»: «لا تُولد المرأة امرأة.. وإنّما تُصبح كذلك»! ومن ثم انطلق التيار التغريبي بجموح لفرض مثل هذه الأفكار الشاذة وتأصيلها ووضعها في صلب مشروعه، وأصبح مصطلح «العابرون جنسياً» مصطلحاً شائعاً يتم الترويج له، وتم استخدام وسائل الإعلام بمهارة في نسج وعرض قصص هؤلاء والاضطهاد الذي يعانون منه في المجتمع، والبعض منهم فنانون وأبناء فنانين؛ وهو ما أثار لغطاً في الشارع، خاصة وقد عملت وسائل الإعلام هذه بإلحاح على أخبار هؤلاء النجوم الفنانين! والحديث عن أدق تفاصيلهم الحياتية، واستخدمت منصات التواصل الاجتماعي في هذه الحرب على ثوابت القيم الأسرية، وما معركة «البكيني» التي أثيرت مؤخراً واعتباره حرية شخصية من غير المقبول انتقادها إلا واحدة من معارك هذا التيار الذي يفرض مفهومه عن الحرية بمثل هذه الأدوات، وما رفع سقف الطموحات العلمانية بهذه الصورة المستنكرة إلا آلية للقبول بالدرجات الأقل؛ فإذا كان «البكيني» مستنكراً على شواطئ الفقراء فكشف الشعر مثلاً أمر طبيعي!

على أن ما يميز هذه الموجة الثانية هو تلك الضربات الموجعة التي تلقاها التيار الإصلاحي وإغلاق صحفه ودور نشره ومواقعه الإلكترونية في كثير من البلدان، فأُخرج عمداً من ساحة المواجهة، وبقي التيار التغريبي وحيداً في الساحة يعرض مشروعه من جهة، وينفر من أطروحة التيار الإسلامي الإصلاحي من جهة أخرى، دون أن يملك الأخير حتى حق الرد.

أسلمة التغريب

يمكننا القول، إذن: إنه بعد المد التغريبي الأول الذي وصل ذروته في ستينيات القرن الماضي (مع بعض التباينات الأيدولوجية التي تلتقي في الأصل العلماني الكبير)، بدأ التيار التغريبي يفقد الكثير من شرائحه المثقفة لصالح التيار الإصلاحي الأصيل الذي تعلم الكثير من تجاربه السابقة، والذي

التيار التغريبي بدأ يفقد الكثير من شرائحه المثقفة لصالح التيار الإصلاحي الذي تعلم من تجاربه السابقة

تجاوز كثيراً من القيم والتقاليد والعادات التي لا ترتبط بأصل إسلامي صحيح، وأصبحت قضايا الأسرة تعالَج بشكل كلي ومتكامل في إطار فهم الواقع الاجتماعي، وتحت منظومة القيم الإسلامية الفلسفية الحاكمة؛ وهو ما أزعج صناع القرار في العالم الذين سعوا للالتفاف على هذا المد.

وما تقرير مؤسسة «راند» الأمريكية الذي حمل اسم «بناء شبكات إسلامية معتدلة» إلا نموذج لهذه المحاولة الالتفافية الناعمة لضرب هذا المشروع من الداخل، وبنفس أدواته، عن طريق دعم ما يطلقون عليهم المعتدلين، وما هم إلا أصحاب المشروع التغريبي الذين يسقطون رؤيتهم على النصوص الإسلامية، ويقومون بتأويلها بطريقة تجافي منطق اللغة، متجاهلين آراء المفسرين والمحدثين جميعاً؛ «يرى المعتدلون أن المواقف ذات صبغة الاضطهاد في القرآن والسُّنة بالنسبة للمرأة في المجتمع والأسرة (على سبيل المثال أن البنت ترث نصف ما للولد) يجب أن يعاد تفسيرها في ضوء الواقع الحالي وليس الواقع الذي ساد أيام حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم»[2].

حتى إن التقرير أشار بشكل صريح إلى أهمية استغلال وسائل الإعلام والفنون المختلفة للترويج لهذا الفكر، وبالطبع إذا قامت بهذا الدور امرأة ومن أصول إسلامية، فإن الأمر يكون أشد وقعاً؛ «في النرويج، على سبيل المثال، فإن ممثلة الكوميديا المسرحية «تسابانا رحمان» وهي من أصول باكستانية تحب أن تظهر على المسرح مرتدية البرقع، ثم تقوم بخلعه ليظهر تحته فستان سهرة أحمر، قبل أن تقوم بإلقاء نكاتها المعارضة للشريعة، وتؤكد فوائد التكامل مع الحداثة الغربية»[3]. ■

الهوامش

(1) مستقبل الثقافة في مصر.. طه حسين.
(2) تقرير «بناء شبكات مسلمة معتدلة»، مؤسسة راند، مارس 2007م.
(3) المرجع السابق.

شرق المتوسط.. وحرب الاتفاقات البحرية

على مدى السنوات العشر الأخيرة، باتت منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط إحدى أهم بؤر التوتر في العالم، ومناط اهتمام القوى الإقليمية والكبرى، بعد أن اكتشفت فيها بعض أحواض الغاز الطبيعي؛ دفع ذلك مختلف دول الحوض إلى تسريع وتكثيف جهودها في التنقيب عن الموارد الطبيعية، لكنه أيضاً زاد من مستوى المنافسة والتوتر بينها إلى درجة غير مسبوقة باتت تنذر باحتمالات المواجهة العسكرية.

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

بينما أنقرة تنادي بترسيم الحدود البحرية وفق ما يقتضيه التوزيع العادل تريد أثينا التقسيم على أساس التنصيف

اليونان لم تكتف بالتشبث بموقفها لكن سعت لتشكيل تكتل إقليمي يدعمها في مواجهة تركيا

يعدُّ الخلاف التركي – اليوناني من أقدم الخصومات التقليدية في المنطقة وأكثرها تعقيداً، فبينهما عداوة تاريخية تجتمع فيها الأبعاد الدينية والقومية والسياسية والإستراتيجية والحضارية معاً، كما أن جزر بحر إيجة من الخلافات الرئيسة بينهما منذ تأسيس الجمهورية التركية، فضلاً عن القضية القبرصية منذ ستينيات القرن الماضي.

لكن الخلاف الأكثر حدة ووضوحاً حالياً هو التنافس المرير بينهما على حدودهما البحرية، وما ينبني عليه من مناطق اقتصادية خالصة وجرف قاري في شرق المتوسط، وهو ما اتخذ شكلاً متسارعاً في السنوات القليلة الماضية.

تتناقض رؤية البلدين بشكل كامل؛ فبينما تنادي أنقرة بترسيم الحدود البحرية وفق ما يقتضيه المنطق والتوزيع العادل بين الدول، تريد أثينا التقسيم على أساس التنصيف أو «خط المنتصف»، ولكن ليس بين برها والبر التركي، وإنما بين الأخير والجزر اليونانية العديدة المنتشرة.

فإذا ما وضعنا في الحسبان أن جزيرة «ميس» بالتركية أو «كاستيلوريزو» باليونانية تقع على بعد 2 كم فقط من الساحل التركي، و580 كم من الساحل اليوناني، وتخيلنا كيف يمكن ترسيم الحدود البحرية بينها وبين تركيا، وأن هناك عدداً آخر من الجزر قريباً من هذا الوصف، أدركنا إلى أي حد تتعرض أنقرة للغبن والحيف وفق الرؤية اليونانية.

ولذلك، تحاجج تركيا بأن الجزر، لا سيما الصغيرة منها وغير المأهولة بعدد كبير من السكان، لا ينبغي أن يكون لها جرف قاري مستقل فضلاً عن أن يكون مساوياً لدولة إقليمية كبيرة مثل تركيا تملك الساحل الأطول على شرق المتوسط، لا سيما أن بعض هذه الجزر، وحسب ما سبق تفصيله، تقع أصلاً ضمن المياه التركية.

لم تكتف اليونان بالعناد والتشبث بموقفها، وإنما سعت لتشكيل تكتل إقليمي يدعمها في مواجهة تركيا، مستفيدة من حالة الاستقطاب التي تعمقت في المنطقة مؤخراً، وهكذا نشأت في عام 2018م وفي قمة ثلاثية مصرية – يونانية – قبرصية فكرة إنشاء منتدى لغاز شرق المتوسط للتنسيق بين مختلف الدول، أعلن المنتدى في يناير 2019م بمشاركة هذه الدول مضافاً لها الأردن والسلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني وإيطاليا، وبات واضحاً من تأسيس المنتدى وأعضائه ثم بياناته ومواقفه الصادرة لاحقاً أنه يتجاهل حقوق تركيا في شرق المتوسط ويتبنى الرواية اليونانية، بل يصل لحد الاستهداف.

مصر على الخط

رداً على ذلك، انتهجت تركيا سياسة ثنائية على التوازي؛ فقد سعت أولاً للبحث عن شركاء لها في المنطقة، فأبرمت في نوفمبر 2019م اتفاقية لتحديد المناطق الاقتصادية الخالصة مع حكومة الوفاق الوطني الليبية، التي تبعتها اتفاقية للتعاون الأمني والعسكري، بما أعادها للعبة شرق

www.mugtama.com

أنقرة سعت لإبرام اتفاق لترسيم الحدود البحرية مع القاهرة إلا أن أثينا بادرت بإبرام اتفاق لترسيم جزئي معها

مصر وتركيا تدركان أن هناك مصلحة جوهرية لهما في ترسيم الحدود البحرية

المتوسط بقوة وأفادها وأفاد ليبيا، بل ومصر.

والمسار الثاني كان إثبات نفسها وقوتها أمام هذه الأطراف، وإيصال رسالة بأنه لا يمكن تجاهلها ونكران حقوقها، وهذا ما فعلته من خلال زيادة عدد سفنها للمسح والتنقيب في شرق المتوسط وكذلك قواتها العسكرية الحامية لها.

إضافة لذلك، فقد سعت أنقرة لإبرام اتفاق لترسيم الحدود البحرية مع مصر، الدولة الأخرى التي تملك مثلها ساحلاً طويلاً على شرق المتوسط التي -في المقابل- لا تتمتع بعلاقات طيبة معها منذ أحداث 3 يوليو 2013م.

ففي يوليو 2020م، أعلن وزير الخارجية التركي مولود تشاووش أوغلو عن حصول اجتماعات بين البلدين للحوار حول ترسيم حدودهما البحرية، كما أنها جمّدت مؤقتاً أنشطة المسح والتنقيب في شرق المتوسط إثر وساطة ألمانية لنزع فتيل التوتر الذي أدى لبعض الاحتكاكات مع اليونان، تمهيداً لحوار ثنائي بخصوص الحدود البحرية، إلا أن أثينا فاجأتها بإبرام اتفاق لترسيم جزئي للحدود البحرية مع القاهرة.

كما هو واضح ومعلن أيضاً من قبل اليونان، فهدف هذا الاتفاق الأساس هو نقض الاتفاق التركي - الليبي الذي سبقه، ورغم ذلك حملت القنوات الدبلوماسية رسائل طمأنة من مصر لتركيا، بأنها حرصت على ألا تكون طرفاً في النزاع التركي - اليوناني المذكور، بل إن جهاز المخابرات المصري أبلغ نظيره التركي بوجود سوء فهم في الموضوع، وفق ما قال الرئيس التركي.

وبالتالي ساهم ذلك في تراجع حدة التوتر بين البلدين، بعد أن ارتفعت على مدى الأسابيع السابقة إثر التقدم الميداني الذي حققته حكومة الوفاق الوطني الليبية بدعم تركي، وتهديد القاهرة بتدخل عسكري مباشر في ليبيا إذا ما تخطت قواتها خط سرت - الجفرة.

صدام أم حوار؟

وهكذا، أصبحنا في شرق المتوسط أمام اتفاقين متناقضين ومتداخلين؛ اتفاق تركي - ليبي لا تعترف به أثينا والقاهرة، واتفاق مصري - يوناني لا تعترف به أنقرة وطرابلس الغرب، كما أن تركيا ترى أن الاتفاق الأخير ينتهك حقوقها وحقوق ليبيا، وهو ما توافقها عليه حكومة الوفاق الليبية.

انبنى على ذلك أن تركيا استأنفت نشاطها في المسح والتنقيب بعد أن كانت جمدته مؤقتاً كبادرة حسن نية تجاه اليونان، وهددت بأنها لن تسمح بأي أنشطة في مناطقها التي ينتهكها الاتفاق المصري - اليوناني وفق تقييمها، زادت أنقرة وكذلك اليونان من تواجدهما العسكري في المنطقة، وحصلت بعض الاحتكاكات بين سفنهما في شرق المتوسط، ما أعاد للأذهان مرة أخرى سيناريوهات المواجهة العسكرية.

نظرياً هناك عدة سيناريوهات محتملة للمستقبل، ولكن عملياً يمكن جمعها في خمسة رئيسة: الحوار المباشر، أو الوساطة، أو التحكيم الدولي، أو التصعيد العسكري، أو بقاء الأوضاع على حالها.

بالنظر إلى التطورات الأخيرة والتراشق بين مختلف الأطراف، لا يبدو أن هناك أرضية جاهزة حالياً لحوار مباشر بين تركيا واليونان، كما أن الاختلاف الكبير في وجهات النظر، إضافة لعدم توقيع تركيا على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار يصعّبان كثيراً من فكرة التحكيم الدولي حالياً، في المقابل؛ فإن التطورات الأخيرة رفعت نسبياً من احتمالات المواجهة العسكرية بين الجانبين، وكذلك من كلفته إن حصل، وهو تحديداً ما يدفع الطرفين لمحاولة تجنبه.

ولذا، يبدو أن المراوحة في المكان هو السيناريو الأرجح على المدى القصير، بحيث يكتفي الطرفان بتبادل الرسائل السياسية والعسكرية الباردة والساخنة، واللعب على حافة التصعيد دون تعمّد اللجوء له، بينما يمكن أن تتهيأ الظروف لوساطة بينهما على المدى المتوسط، من ألمانيا كما في المرة السابقة أو من أي طرف آخر مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي.

أما بالنسبة لمصر وتركيا، فرغم الاتفاقات الموقعة ورغم الخلاف الكبير في ليبيا، فإن الجانبين يدركان جيداً أن هناك مصلحة جوهرية وحقيقية لكليهما في ترسيم الحدود البحرية، وهو ما يبدو السبب وراء الرسائل الإيجابية المطمئنة بالاتجاهين مؤخراً، ورغم ذلك، لا يبدو أن الجانبين مستعدان اليوم لحوار شامل ومباشر بينهما، إذ سيحتاج ذلك لمرحلة إعداد واستكشاف مواقف منهما في البداية.■

بين الاحتجاجات الشعبية والانقلابات العسكرية..

ماذا يحدث في مالي؟

روضة علي عبدالغفار
صحفية متخصصة في الشأن الأفريقي

في العاصمة المالية باماكو، تتسابق الأحداث بوتيرة سريعة، تحمل موجات من الترحيب وأخرى من القلق والتنديد؛ فهنا شعب يحتفل، وهذه قوى دولية غير راضية، وهذا رئيس معتقل، وعسكر يتقلد زمام الدولة.. فماذا يحدث في دولة مالي الواقعة غرب أفريقيا؟ وكيف تصاعد الحراك حتى وصل لانقلاب عسكري؟ وما سيناريوهات المشهد المالي بعد الإطاحة بالرئيس؟
في هذا التحقيق نسلط الضوء على هذه القضايا.

شهدت مالي مؤخراً أزمة سياسية حادة؛ حيث طالبت المعارضة باستقالة رئيس البلاد إبراهيم أبوبكر كيتا، كشرط لأي تسوية سياسية، وتصاعدت الأزمة في يوم الثلاثاء 18 أغسطس الماضي، حيث قام عدد من العسكر بتمرد لوحدات من الجيش في ثكنة قرب العاصمة المالية، وتم إطلاق نار كثيف في قاعدة «كاتي» العسكرية، على إثرها هدأت الاشتباكات وألقي القبض على عدد من الوزراء وكبار المسؤولين وضباط بالجيش، من ضمنهم وزيرا الخارجية والمالية ورئيس البرلمان.

بعد ذلك بفترة وجيزة، شرع المتمردون في اعتقال الرئيس ورئيس وزرائه، وتم اقتيادهم بعيداً إلى بلدة كاتي، التي تبعد 15 كيلومتراً عن العاصمة باماكو، وأعلن «التلفزيون المالي» الرسمي، في الساعات الأولى من الأربعاء 19 أغسطس، استقالة رئيس البلاد أبوبكر كيتا، الذي قال في كلمة مقتضبة أذاعها التلفزيون الرسمي: إنه يستقيل من رئاسة البلاد، ويحل البرلمان، وأضاف: «لا أريد أن تراق الدماء لإبقائي في السلطة».

الرئيس أعلن استقالته وحل البرلمان وأكد أنه لا يريد إراقة الدماء مقابل بقائه في السلطة

وبعد أكثر من ثلاث ساعات على إعلان الرئيس أبوبكر كيتا قراره مغادرة منصبه، ظهر المتحدث باسم العسكريين إسماعيل واغي ليعلن تشكيل «لجنة وطنية لإنقاذ الشعب»، مؤكداً أنهم يريدون القيام بانتقال سياسي مدني، وأن تتم انتخابات عامة خلال مهلة معقولة، مُعرباً عن احترامهم للاتفاقات الدولية بما في ذلك اتفاقية السلام في الجزائر بين الفرقاء، مطالباً الجيش البقاء بالجبهات.

كما أعلن أنه اعتباراً من يوم 19 أغسطس 2020م، سيتم إغلاق جميع الحدود الجوية والبرية في البلاد حتى إشعار آخر، وتم فرض حظر تجول من الساعة 9 مساءً حتى الساعة 5 صباحاً، كما دعا المجتمع المدني والحركات الاجتماعية والسياسية للانضمام معاً؛ لخلق أفضل الظروف لانتقال سياسي مدني، يؤدي إلى انتخابات عامة ذات مصداقية للممارسة الديمقراطية التي ستضع الأسس لدولة مالي الجديدة.

ويقود الانقلاب في مالي العقيد مالك دياو، نائب القائد العام في معسكر كاتي، وقائد آخر هو الجنرال ساديو كامارا، والجنرال شيخ فانتا ديمبيلي.

تتويج لحراك الشعب

وعن موقف الشعب المالي إزاء الانقلاب، يؤكد الأكاديمي والناشط المالي إلياس كوني، لـ«المجتمع»، أن هذا الانقلاب تتويج لحراك الشعب منذ أشهر، وأن الشعب استنجد بالعسكر للتدخل وإيقاف قتل المدنيين،

www.mugtama.com

اعتقاداً منه أن النظام لن يُركعه سوى الجيش، كما أن المفاوضات والوساطات التي تقودها المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا اتسمت بالانحياز لصالح النظام وفرنسا، المتورطين في تأزم المشهد المالي، وأضاف أن تدخل العسكر كان عاملاً حاسماً في نجاح الحراك ضد النظام، وأن الشعب رحب به ترحيباً ممزوجاً بالفرحة والابتهاج والانتصار.

بينما يرى الباحث في الشأن الأفريقي عباس صالح أن المعارضة راهنت على قوة الشارع وليس تدخل العسكر، لكن هناك تقاطع مصالح بين الطرفين، وتكمن مصلحتهما المشتركة في إجبار الرئيس كيتا على مغادرة السلطة، والبحث عن نظام سياسي جديد، ولكن غير معروف إلى أي مدى سيستمر توافق الطرفين ومتى سيفترقان.

في المقابل، أعربت العديد من القوى الإقليمية والدولية رفضها لانقلاب مالي، ودعت إلى عودة الحكم المدني وإطلاق سراح قادة البلاد، فقد أدانت الأمم المتحدة الانقلاب، وتقرر عقد جلسة طارئة مغلقة لمجلس الأمن الدولي لبحث الأزمة في مالي، بطلب من فرنسا والنيجر التي ترأس حالياً المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (إيكواس)، كما علقت مجموعة «إيكواس» عضوية مالي، الثلاثاء 18 أغسطس.

وأعلن الاتحاد الأفريقي أنه يدين بشدة أي محاولة لمخالفة الدستور في مالي، ودعا العسكريين الذين أعلنوا التمرد للعودة إلى ثكناتهم، وتم تعليق عضوية مالي في الاتحاد الأفريقي إلى حين استعادة النظام الدستوري، كما أعرب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عن إدانته لمحاولة التمرد المستمرة في مالي، وقال وزير خارجيته: إن فرنسا ستواصل دعمها لسيادة وديمقراطية مالي.

وفي هذا الصدد، قال إلياس كوني، لـ«المجتمع»: إن الإدانات الدولية متوقعة؛ لأنها تأتي في إطار المعاهدات والمواثيق الدولية؛ فلا عجب أن تتسارع الدول والمنظمات إلى ذلك، غير أنه مع الأيام سوف تتضاءل القلاقل الموروثة جراء الثورة على

إلياس كوني

عباس صالح

كوني: الانقلاب تتويج لحراك الشعب منذ أشهر الذي استنجد بالعسكر للتدخل وإيقاف قتل المدنيين

الاتحاد الأفريقي أدان أي محاولة لمخالفة الدستور ودعا العسكريين للعودة لثكناتهم وعلَّق عضوية مالي

النظام الحاكم، مع الحراك الدبلوماسي المكثف الذي سيتوالى هذه الأيام؛ علماً أن هذه ليست أول ثورة تطيح بالنظام في تاريخ جمهورية مالي، فالشعب وقادته خبراء بالتعامل مع مثل هذه الظروف واجتيازها للوصول إلى تفاهمات مع القوى الداخلية والخارجية.

منذ يونيو الماضي، يخرج عشرات آلاف المتظاهرين إلى شوارع بماكو، مطالبين كيتا بالاستقالة، لاستيائهم من مواقف نظامه

الإمام محمود ديكو

إزاء قضايا كثيرة، على رأسها تدهور الوضع الأمني، وعجز حكومته عن وقف العنف في البلاد، إضافة إلى الانهيار الاقتصادي، وفشل خدمات الدولة، وتفشي الفساد، وشهدت مالي موجات متتالية من المظاهرات بقيادة حركة «5 يونيو» المعارضة وعدد من المستقلين، منذ إعلان نتائج الانتخابات التشريعية التي جرت في مارس الماضي، وفاز فيها حزب الرئيس كيتا ورفضتها المعارضة.

تم انتخاب أبوبكر كيتا رئيساً لمالي عام 2013م، وفاز بولاية رئاسية ثانية عام 2018م مدتها 5 سنوات، وفي هذا الصدد، يقول الباحث عباس صالح لـ«المجتمع»: «صحيح أن الرئيس كيتا هو رئيس منتخب عبر الشعب، ولكنه بممارساته وسوء إدارته خان ثقة الناخبين وخذل تطلعاتهم؛ حيث جعل الشارع يتحرك ضده، ويقبل بأي تحرك ما دام سيطيح به وبنخبته الفاسدة».

وقد تشكلت حركة «5 يونيو» في يونيو الماضي، وكانت عبارة عن جبهة معارضة واسعة دعا إليها الإمام محمود ديكو، الرئيس السابق للمجلس الإسلامي الأعلى في مالي، وكانت الاستجابةُ واسعة وكبيرة؛ والتفَّت حوله أحزاب وقوى سياسية ومنظمات مجتمع مدني تجمعها جميعاً نفس المطالب السابقة تحت غطاء وزخم شعبي كبير.

ولم تلبث حركة 5 يونيو كثيراً حتى أصبحت محطَّ أنظار العالم، وشخصيتها المقدمة والمؤثرة الإمام محمود ديكو، حتى جاء يوم 10 يوليو الماضي، وهو اليوم الذي امتزجت فيه القضية والمطالب بدماء الشباب المالي، وأخذت بُعدًا آخر، وهو الثورة على النظام الذي يقتل المواطنين.

وكانت أبرز مطالب الاحتجاجات الشعبية: استقالة الرئيس وحل الحكومة والبرلمان، وحل المحكمة الدستورية وتعيين أعضاء جدد، والانتقال إلى فترة انتقالية يتم تنظيم خلالها انتخابات رئاسية وبرلمانية، وانطلقت دعوات إلى السيطرة على مقرات الحكومة والدخول في عصيان مدني.

وأرسل اتحاد غرب أفريقيا مبعوثاً خاصاً لحل الأزمة، وهو الرئيس النيجيري السابق جودلاك جوناثان، لكنه لم يستطع تقريب وجهات النظر؛ نظراً لانحيازه للحكومة

والرئيس؛ مما دفع حركة المعارضة إلى رفض خطته لحل الأزمة وباءت مساعيه بالفشل.

فرنسا ولعبة المصالح

في عام 2013م، جاءت قوات دولية إلى مالي، على رأسها فرنسا، وكانت محل ترحيب من الشعب المالي؛ نظراً لأن البلاد كانت على المحكّ، نتيجة اشتباكات حادة بين الحركات الانفصالية، التي أعلنت استقلال منطقة أزواد والسيطرة عليها تحت اسم «جمهورية أزواد»، وبين الجيش المالي الذي يحاول السيطرة على المنطقة المنفصلة، ونتج عن ذلك تشريد 200 ألف من سكان الإقليم، ومقتل المئات وارتكاب مجازر مُروِّعة بحق الأهالي، وهدم للأضرحة والآثار، ونشاط غير مسبوق للجماعات المسلحة والمتطرفة والانفصالية.

ومنذ دخول فرنسا، ومن ورائها قوات أوروبية أخرى؛ لم تتحسن الأوضاع في مالي، رغم أنه كان مُرَحَّباً بها في البداية، وكان الغرض هو حفظ الأمن والاستقرار، ويبلغ عدد القوات الفرنسية في مالي أكثر من 4000 جندي، وزاد العدد ليصبح 5800 جندي حالياً.

ويعلق الناشط إلياس كوني على تدخلات فرنسا، أنه لا أحد ينكر العلاقة الإستراتيجية بين الدولتين والمصالح المشتركة بينهما قديماً وحديثاً، ورغم أن تدخل فرنسا في عام 2013م كان له دور كبير في ردع الجماعات المسلحة، والحيلولة دون سقوط العاصمة والدولة؛ غير أن الفرحة بتدخل فرنسا لم تدم طويلاً بعد إدراك الشعب أن فرنسا متورطة في دعم بعض تلك الحركات بالمال والعتاد والجنود لمصالحها في الشمال، وتدخل فرنسا وتوغلها في قضايا الدولة لمصالحها هي حقيقة ماثلة، لذا لا عجب في عدم التفات الشعب إلى تنديدات فرنسا وتهديداتها.

إن الوجود الفرنسي في المنطقة يشكّل إرث الماضي الاستعماري، إضافة إلى المصالح الاقتصادية الكبيرة في غرب أفريقيا، حيث تسعى فرنسا للحفاظ على حصتها من الذهب، في هذا البلد الذي ينتج ما يقارب 50 طناً سنوياً، وهناك مئات

باحث أفريقي: هناك تقاطع مصالح بين الشعب والعسكر لكن غير معروف إلى أي مدى سيستمر توافقهما

الوجود الفرنسي بالمنطقة يشكّل إرث الماضي الاستعماري إضافة إلى المصالح الاقتصادية الكبيرة

أكثر السيناريوهات ترجيحاً استمرار الاضطرابات والفوضى السياسية وتصاعد وتيرة انعدام الأمن

المناجم من الذهب والبوكسيت وغيرهما من المعادن، وكذلك تعزيز وجودها في الأماكن التي يُرجَّح أنها تحتوي على احتياطيات هائلة من النفط والغاز في شمال مالي، من خلال القوات الفرنسية المرابطة في الشمال.

في حين يرى الباحث عباس صالح أن التدخلات الفرنسية هي لصالح باريس فحسب، وهي لا ترى في الفاعلين المحليين إلا أن يكونوا تابعين لها أو خادمين لمصالحها، وتعتبر التدخلات الفرنسية أحد أسباب الغضب الشعبي في الشارع المالي ضد كيتا، لا سيما أن فرنسا رغم تدخلها في شمال البلاد، فشلت هي الأخرى في إرساء الأمن والاستقرار واستعادة النظام.

ماذا بعد الإطاحة بالرئيس؟

أعلن قادة الانقلاب في مالي أنه سيتم تنصيب رئيس انتقالي للبلاد، وسيكون مدنياً أو عسكرياً، على أن يترأس مجلساً لإدارة البلاد خلال فترة 9 أشهر، وقال المتحدث باسم الانقلابيين العقيد إسماعيل واغي: إنهم على اتصال مع المجتمع المدني وأحزاب المعارضة والأغلبية، لمحاولة ترتيب الانتقال، كما أضافت اللجنة الوطنية لإنقاذ الشعب -التي شكلها قادة الانقلاب- أن المجلس الانتقالي يضم 6 عسكريين و18 مدنياً، على أن يتم انتخاب رئيس المجلس من قبل أعضائه، وأوضحت اللجنة أن رئيس المجلس الانتقالي سيتولى منصبي رئيس الدولة، وقائد المرحلة الانتقالية.

ويرى الناشط المالي إلياس كوني أن العسكر صادقون في تسليم السلطة؛ لأن تدخلهم كان للحيلولة دون انهيار الدولة، وإنقاذها من الأزمات المعقدة التي تعيشها، وأضاف أن التدخل العسكري جاء بمناشدة الشعب ومباركته، مما يوحي باستعدادهم الكامل لرد السلطة إلى المدنيين.

بينما قال الباحث عباس صالح لـ«المجتمع»: إن أكثر السيناريوهات ترجيحاً هو استمرار الاضطرابات والفوضى السياسية، وتصاعد وتيرة انعدام الأمن في البلد وفي الإقليم بشكل عام، خاصة إذا مضت حكومة الإنقاذ الوطني، التي شكلها الانقلابيون، في نفس الطريق الذي سلكته الحكومات السابقة وآخرها نظام كيتا، ولكنَّ هناك متغيراً جديداً هو صحوة الشارع، بجانب احتمالات انقسام مكونات الحراك الجماهيري.

وكان ائتلاف «5 يونيو» المعارض قد أشاد بما سماه التدخل العسكري الذي جاء ليكمل مسيرة الشعب المالي وتطلعاته إلى دولة ديمقراطية مدنية وعلمانية، وحثَّ المجتمعَ الدوليَّ على النظر إلى قضية مالي بعيداً عن منطق العقوبات، وأنهم يعملون حالياً مع العسكريين الذين تولوا السلطة.

وبالسؤال عن دور القوى الثورية والمعارضة لضمان انتقال سلمي للسلطة، أضاف إلياس كوني، لـ«المجتمع»، أنه يجب على القوى المدنية والسياسية أن تبلور موقفاً موحداً؛ للتعامل مع الظرف الحالي وقيادة المرحلة بشكل سياسي ديمقراطي، كما على القوى العسكرية تكثيف المساعي مع جميع التيارات المختلفة بالدولة، وأن تمهد الطريق أمام التوصل إلى تفاهمات داخلية وخارجية لضمان سلاسة الانتقال السلمي للحكم.

وبين كل هذه الاضطرابات التي عاشتها مالي وما زالت تعيشها، هل يصبح الانقلاب العسكري هو يد العون التي أنقذت الشعب حقاً، أم تكشف الأيام عن جديدٍ ليس في الحسبان؟!■

المغرب.. هل يقلص «العدالة والتنمية» مشاركته في الانتخابات القادمة؟

الرباط - عبدالغني بلوط:

مع اقتراب الانتخابات المقررة عام 2021م في المغرب، تعود من جديد مخاوف منافسي حزب «العدالة والتنمية» من عودته لقيادة الحكومة للمرة الثالثة على التوالي.

ويطلق البعض بالونات اختبار حول إمكانية تقليص مشاركة حزب العدالة والتنمية المغربي في الانتخابات القادمة، بدعوى أن ذلك تقدير للمصلحة العليا للوطن، وتكريس لمبادئ الديمقراطية المرتكزة على تداول السلطة، إلى جانب رؤيتهم أن الحزب في حاجة للعودة إلى المعارضة من أجل استرجاع بريقه الذي فقده من خلال تدبيره للشأن العام على مدى عشر سنوات.

في اتصال لـ«المجتمع» بعدد من القيادات الحزبية لحزب العدالة والتنمية، أكدوا أن الأمر لم يناقش داخل المؤسسات الداخلية لأنه غير مطروح أصلاً، فيما رأى محللون أن طرحه في هذا الوقت هو من أجل الاستهلاك الإعلامي والتشويش على تجربة الحزب في تدبير الشأن العام، وشغله بقضية ثانوية عن قضايا أكثر إلحاحاً مثل محاربة الفساد وتثبيت الديمقراطية والمساهمة بروح عالية ووطنية في حل الإشكالات الحقيقية للبلد، وما تطرحه التحديات المستقبلية لا سيما في ظل جائحة فيروس «كورونا المستجد».

بالرغم من ذلك، فقد حظي الموضوع بنوع من السجال على الجرائد الوطنية وفي مواقع التواصل الاجتماعي، ومن بين الأصوات التي نادت بتقليص المشاركة، نجد الإعلامي مصطفى الفن، الذي حاول ربط ذلك بمنهج الحزب الذي يدعو إلى «التدرج والوسطية والاعتدال وعدم التنازع مع أولي الأمر».

ويضيف أن هذا المنهج الاستثنائي في التغيير والإصلاح هو الذي ساعد أو بالأحرى جنب الحزب من الدخول في متاهة الاصطدام مع الدولة في أكثر من محطة سياسية، بل جنبه حتى إمكانية الحل.

الفن: منهج الحزب في التغيير والإصلاح جنَّبه الدخول في متاهة الاصطدام مع الدولة

ماء العينين: البلد في حاجة إلى تسوية حقيقية وعلى الحزب أن يكون فاعلاً رئيساً

ويبرز الفن أن قوله هذا لا ينسيه أن استثنائية المؤسسة الملكية في المغرب هي التي كانت حاسمة في إدماج الإسلاميين بالحياة السياسية في وقت اختارت فيه أنظمة عربية دكتاتورية رميهم في السجون والمنافي، بمعنى آخر؛ فعلى قادة «العدالة والتنمية» أن يستفيدوا من الدروس، وعليهم أن يلتقطوا الإشارات، وأن يعيدوا من جديد قراءة أدبيات حزبهم التي أملت «التقليص الذاتي» والتراجع إلى الخلف في استحقاقات انتخابية سابقة.

من جانبه، يرد الإعلامي والكاتب عضو المجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية حسن حمورو على دعوة التقليص، في تدوينة طويلة، بالقول: إن استعمال مصطلح الصدام مع الدولة ظل مجرد فزاعة لتخويف جزء من قيادة الحزب، للتأثير عليها أثناء التداول في اتخاذ القرارات والمواقف، في حين أن وثائق الحزب وأدبياته تؤكد واقعياً أن أحد مبررات وجوده إسناد الدولة ومساعدتها.

وخلص حمورو إلى أن السياق الذي سبق للحزب أن اتخذ فيه قرار تقليص المشاركة في الانتخابات انتفى، ولم يعد قائماً، سواء من حيث معطيات الحياة السياسية الوطنية التي تأثرت بسياق ما سمي الحرب على الإرهاب، أو من حيث المعطيات الخاصة بالحزب، الذي كان حينها يشغل موقع المعارضة، وكان حديث عهد بالمشاركات الانتخابية.

ويؤكد أن قرار تقليص المشاركة في الانتخابات المقبلة يعد حلاً سهلاً، بل وهروباً وتخلياً عن الواجب الوطني، ورسالته ثقيلة، ومخالفة لمواقف الحزب، تجاه المؤسسات السيادية للدولة، لأنه يستبطن استكافاً عن المشاركة في مؤسسات الدولة المنتخبة، ويستبطن التشكيك في المسار الديمقراطي للدولة، ومعلوم أن التشكيك غير الانتقاد المطلوب من أجل التحسين والتجويد، فضلاً عن كونه يشكك كذلك في أطروحة «الإصلاح من الداخل».

من جهتها، تبرز القيادية في حزب العدالة والتنمية البرلمانية آمنة ماء العينين، في تعليقها على تدوينة حسن حمورو، أنها غير مؤمنة بخيار تقليص المشاركة؛ لأنه متجاوز وسطحي بهاجس عددي وبدون مضمون سياسي.

وتؤكد أن النقاش الحقيقي اليوم منصب على المضمون السياسي الذي سيؤطر الانتخابات المقبلة بعيداً عن لغة الأرقام والمقاعد، إذ يجب أن نعترف أن العدالة والتنمية عاجز اليوم عن قيادة النقاش السياسي أو التأثير فيه بفعالية، ولذلك لم يعد اليوم الرهان كامناً في الفوز بالرتبة الأولى بقدر ما يكمن الرهان في تجديد الفكرة والأطروحة للتعبئة حولها.

وتضيف أن البلد في حاجة إلى تسوية حقيقية سمتها في أكثر من مناسبة بالعملية التفاوضية الكبيرة، وعلى الحزب أن يكون فاعلاً رئيساً فيها، مبرزة أن عاملين أساسيين شرطان لإنجاح هذه التسوية المطلوبة، المضمون السياسي الديمقراطي، والنخبة القادرة على إدارة النقاش والتفاوض.■

ها قد أطلّ علينا هلال عام هجري جديد يحمل بين نوره الأمل في حياة أفضل وعمل أحسن وعودة راشدة إلى منهج الله، وتذكرة بمرور الأيام والسنين مع مسير قطار العمر عاماً بعد عام، فالحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الحياة لنزداد له ذكراً، ونسجد له شكراً، ونستكثر من فعل الخيرات، والحمد لله الذي أمدّ في أعمارنا وبلغنا هذا العام الجديد علنا نلملم شعث قلوبنا، ونضمد جراحات ذنوبنا، ونتوب إلى ربنا، فنستقبله بقلب جديد ونية جديدة.

محطات إيمانية في طريق التربية

هلال الأمل

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

كان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا رأى الهلالَ قال: «اللَّهمَّ أهلَّه علينا بالأمن والإيمانِ والسَّلامة والإسلامِ والتَّوفيقِ لما تُحب وتَرضى ربُّنا وربُّكَ اللهُ» (صحيح ابن حبان).

لقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الدعاء كل مقومات الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، فهو دعاء جامع لأصول السعادة لمن أراد أن يسلك سبلها.

فقوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم» فيه الاعتراف بألوهية الله سبحانه وتعالى وتوحيده ويدخل فيها دعاؤه سبحانه وحده لا شريك له، (وكلمة «اللهم» صيغة نداء ودعاء مثل: يا الله)، ومَن قال: يا الله، فهو إنما يلجأ إلى ربه عز وجل القادر، ويدعوه ويستعين به ويستغيث، ويطلب منه حاجته، وهذا ما ينبغي بل يجب أن يكون عليه المسلم، فهو إنما يَكِلُ ويفوّض أمره إلى الله، ويبث إليه حاجته وشكواه، وكلما كان ذلك في السر والخلوة كان إلى الإخلاص أقرب وإلى الإجابة أسرع.

لكننا، للأسف، انتشرت بيننا على صفحات التواصل الاجتماعي آهات الشكاوى وبث النجوى، ليس إلى الله سراً، بل إلى الناس علانية وجهراً، بالليل والنهار، حتى إنك عندما تقرؤها تعرف أن فلاناً في ضيق مالي، قد ترك عمله، وهذا مريض يعرض مرضه، وفلانة غضبى مع زوجها، وأخرى سافر ابنها، وهذه تركها خطيبها، وأخرى تنعى حالها! وهكذا حتى أصبحت هذه الأجهزة -بقصد وبغير قصد- محلاً للتشكّي بدلاً من اللجوء إلى الله ودعائه على سجادة الصلاة وفي جوف الليل، وتحوَّل الصبر والتصبر إلى شكوى وجزع، إلا من رحم الله، فصارت الهموم تُبث لغير الله، وتُعلن على الملأ دونما تردد.

لذا، فإن علينا أن نحسن العَود إلى الدعاء، ونقول من قلوبنا في كل وقت وحال: اللهم يا الله، ونكل إليه أمورنا كلها بعيداً عن أعين وآذان المخلوقين، فسيد الخلق صلى الله عليه وسلم يدعو ويطلب من الله «الأمن والأمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى».

الأمن في حياة المسلم

إن الحياة الدنيا إذا خلت من الأمن والأمان تنغصت على الناس معايشهم، وصارت حياتهم كبداً ومشقة، لا سيما إذا انتزع هذا الأمن الحروب والصراعات المسلحة، لكن المسلم المؤمن بأقدار الله الصابر على ابتلاءاته ينعم مع كل ذلك بأمن من نوع آخر لا يملكه إلا الله، وهو الأمن النفسي والأمان القلبي الذي يجده العبد في إيمانه بالله وعبوديته له، ورضاه بقدره، وفي صدق التوجه إليه والإخلاص له، وفي سجوده بين يديه وتضرعه بالدعاء وشعوره بالذل أمام عظمته سبحانه، ولا عجب أن تجد وسط البلاء من يلهج لسانه بـ«يا الله»، وقلبه بـ«الحمد لله».

إن هذا الأمن يسكب في النفس الراحة والطمأنينة، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28) قال ابن كثير: «تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً»، وقال السعدي: «يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها»، وهذا الأمن

النفسي الناشئ عن الإيمان بالله والاستقامة على أمره يؤدي إلى الأمن في الحياة الدنيا، والأمن عند لقاء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30)، قال ابن كثير: «فيُؤَمِّن الله خوفه، ويقرّ عينه، فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين؛ لما هداه الله، ولما كان يعمل له في الدنيا، وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث».

ومن الأمن أيضاً الأمن يوم القيامة يوم الفزع الأكبر، قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (النمل: 89)، قال البغوي: «الحسنة: كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: هي كل طاعة لله»، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قال ابن عباس: «فمنها يصل الخير إليه، يعني: له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب»، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 103)، قال السعدي: «لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه، وأن الله قد أمنهم مما يخافون».

السلامة والإسلام

إن الإسلام دين الأمن والأمان والسلامة، ويتحقق كل ذلك بالتسليم لله سبحانه وتعالى، ومهما سلم الإنسان سلامة ظاهرة للعين، فإنه لن يعيش الأمن النفسي الخفي والسلام الحقيقي إلا إذا أسلم نفسه واستسلم لله عز وجل وخضع له وذل.

إننا حين نطلب في دعائنا السلامة من الله تعالى، فإن هذه السلامة قد تكون في سلامة أعضائنا وجوارحنا من العاهات والأمراض البدنية؛ لنتمتع بأبدان قوية وأجساد سالمة، وهذا يستلزم منا الأخذ بأسباب ذلك من تناول الطعام الصحي المتوازن، وممارسة الرياضة البدنية المعتدلة، والتداوي المباح من أي مرض، والبعد عما يضرنا تناوله.

رؤية الهلال تذكرنا بالله الذي خلقنا وخلقه وتبث فينا الأمل فنستبشر بتجدد الليالي وازدياد الطاعات

إذا خلت حياة الناس من الأمن والأمان تنغصت عليهم معايشهم

كما تتمثل السلامة أيضاً في سلامة العقيدة من أمراض الشرك المهلكة؛ كاعتقاد الضر والنفع من غير الله، ودعاء الأولياء والتمسح بالأضرحة، واللجوء إلى الكهان والمشعوذين والمنجمين وتصديق ونشر ما يدّعون، وكذلك طلب سلامة النفس من الآفات المهلكة من الذنوب والمعاصي، والأخذ بها لتطهر وتتحول من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس المطمئنة، فتَسلم القلوب من أمراضها الفتاكة؛ كالكبر والحسد والرياء والنفاق والغل والقسوة والغفلة، وهذا يتطلب من كل مسلم أن يصحح إيمانه، وأن يعالج أدواء نفسه، فإن فعل فإن الله يمنّ عليه بالسلامة في بدنه وقلبه، وهو إن سلم فقد أمن ونجا.

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «والتَّوفيق لما تحب وترضى» توجيه نبوي لنا جميعاً في حسن الظن والثقة بالله عز وجل، وطلب التوفيق لما يرضيه فيه حرص على حُسن العمل ورغبة في إرضاء الله الذي بيده مقاليد الأمور، وفيه إظهار لضعف ذلك العبد المخلوق وحاجته إلى ربه أن يوفقه لما فيه صلاح دنياه، من العمل المناسب، والرزق الحلال، والزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، وقرة العين من الذرية البارة، وكل هذا من الله منحة وعطاء وتوفيق، وهو من وسائل الحياة الطيبة في الدنيا المعينة على القيام بدور الإنسان في الأرض كما أمر الله عز وجل.

مهما سلم الإنسان سلامة ظاهرة فلن يعيش الأمن النفسي إلا إذا أسلم نفسه واستسلم لله تعالى

إذا وفّق الله عبادَه لما يحبه ويرضاه فإنه يحبِّب إليهم الإيمان وعمل الخير ويعينهم على البر

خير البرية

فإذا وفق الله عباده لما يحبه ويرضاه، فإنه يحبب إليهم الإيمان والعلم وعمل الخير، ويعينهم على البر والصلة وصدق الأخوة، وييسر لهم سبل الدعوة إليه، ويبغض إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة خير البرية كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: 7)، وإذا كانوا خير البرية، فإنهم لن يستحلوا أكل الحرام، ولا سفك الدماء، ولا استباحة الأعراض، ولن يتفكهوا بالغيبة وتضييع الأوقات، بل يكون مطعمهم طيباً، ودماؤهم معصومة، وأعراضهم محفوظة، وحقوقهم معروفة، وأوقاتهم ثمينة.

أما التوفيق في الآخرة فليس بعد رضا الله توفيق، قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: 8)، قال الطبري: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعوه في الدنيا، وعملوا لخلاصهم من عقابه، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الثواب يومئذ، على طاعتهم ربهم في الدنيا، وجزاهم عليها من الكرامة.

إن رؤية الهلال لتذكّرنا بربنا وربه الذي خلقنا وخلقه، وتبث فينا الأمل والحياة، فالهلال يبدأ صغيراً ثم يكبر رويداً رويداً، وكلما كبر بث النور في الآفاق فأنار لغيره الطريق، وبدد بنوره الظلمات، فلنستبشر مع ظهوره بتجدد الليالي وازدياد الطاعات، ولنسأل الله تعالى في مطلع كل شهر أن يهلّ علينا هلاله بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب ويرضى.■

www.mugtama.com

الهجرة النبوية..
من دلالات المشهد

د. هاني محمود

في مثل هذه الأيام من كل عام تعيش الأمة الإسلامية في رحاب ذكرى عطرة لواحد من أعظم أحداث السيرة النبوية المطهرة؛ إنه حدث الهجرة.

مخطئ من ظن أن الهجرة هي مجرد انتقال من أرض إلى أرض، بل الهجرة منهج ومعنى تجلى -في أسمى صوره- من خلال حادثة الهجرة النبوية المباركة، لكن هذا المنهج وذلك المعنى لا يزال حياً قابلاً للتطبيق.

إن معنى الهجرة هو: الثبات على المبدأ، والاستمرار في نصرته، والنضال من أجل نشره مهما كانت المعوقات التي تخر لها الشم الرواسي، وليس هذا المعنى -كما يظن ذوو التفكير السطحي- قالباً جامداً على حدث، قاصراً على مشهد، مهما كانت أهميته، بل هو روح تسري في همم الصادقين من أصحاب الدعوات على مر الدهور، وكر العصور، ولا ينقطع هذا المعنى بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

إن الهجرة مدرسة إيمانية يتربى فيها العاملون على معاني التضحية والجهاد، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبذلون النفس والنفيس، ويهجرون الأهل والمال والولد، فارين بدينهم إلى أرض لم يخبروها، وعشيرة لم يألفوها، ولا باعث لهم إلا نصرة الفكرة، ونشر الدعوة، وبناء الدولة، إنها مدرسة الإخلاص العظمى، وبوتقة الصدق الكبرى.

وفي مدرسة الهجرة دروس لأهل البلاء؛ حيث تتربى عزائمهم على أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، وأن ليل المحنة مهما طال فلا بد من بزوغ فجر الفتح، وشروق شمس الرِّبح.

في الهجرة ابتلاء بمفارقة المحبوبات، وترك المرغوبات؛ لأجل غاية أسمى، تتضاءل أمامها كل رغبات النفس؛ ولهذا فالهجرة -إعزازاً للدين- تصنع شخصية رسالية قوية، قادرة على الصمود في مواجهة مدلهمات الخطوب

أي قلب تصنعه الهجرة غير قلب تقي، نقي من شوائب الحظوظ النفسية التي تكدر صفاء الإيمان.

أي عقل تعيد الهجرة تشكيله سوى عقل بعيد المدى، واسع القوى، لا ينتهي مداه حيث بصر صاحبه، بل يتسع إدراكه ليجاوز حدود هذا العالم.

إن النفس التي تحوي هذا القلب التقي وذاك العقل الصفي لجديرة بأن تكون هي النفس المطمئنة التي حبب إليها الطاعة، وكره إليها الكفر والفسوق والعصيان، فهجرت ما نهى الله عنه.

لقد أحدثت الهجرة النبوية تحولاً جوهرياً في مسيرة الإسلام؛ حيث نقلت الرسالة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى الفكرة والمنهج، إلى مرحلة الدولة التي تتجسد فيها الفكرة، ويهيمن فيها المنهج، وتصير في أكنافها دعوةُ الحق عزيزة في حصن حصين.

سُنَّة ماضية

لا عجب، إذن، أن تكون الهجرة سُنَّة ماضية في حياة الأنبياء، تحقق للدعوة مناخاً أفضل لانتشارها، وتمنح نفوس المؤمنين ميداناً أرحب للنضال من أجل إعزاز راية الحق في أرض جديدة يعد انضمامها إلى معسكر الدعوة مكسباً عظيماً، يحقق تحولاً لافتاً في مسار انتشارها

رأينا الهجرة في حياة أبي الأنبياء إبراهيم بعد أن انسدت أمامه آفاق الدعوة في أرض قومه.

ورأيناها كذلك في حياة موسى عليه السلام بعد أن عزم فرعون وقومه على قتله ومن معه.

والخبر يغنينا عن استقراء حياة الأنبياء لتتبع هذا المعنى؛ ففي صحيح البخاري: لما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم مع خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، تنبأ ورقة باضطرار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة، وأخبر ورقة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يأتي نبي بمثل ما جاء به محمد إلى عودي.

لقد آن للعقل المسلم والقلب المؤمن أن يجولا في دروب الأحداث النبوية العظمى جوَلاناً يعيد للعقل المسلم بوصلة التفكير الإيماني النافذ، وللقلب المسلم ربانية الوجدان الإسلامي المشرق؛ حتى تسترد الشخصية الإسلامية المعاصرة أعظم أركانها المفقودة.■

www.mugtama.com

الهجرة النبوية.. وفن إدارة الأزمات

تركت الهجرة النبوية المباركة آثاراً جليلة على المسلمين، ليس فقط في عصر النبوة، ولكنها امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومصْر، كما أن آثارها شملت الإنسانية عامةً؛ لأن الحضارة الإسلامية قدمت -وما زالت تقدم- للبشرية أسمى القواعد الأخلاقية والتشريعية التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع.

كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة حدثاً تاريخياً عظيماً، وفيصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية، كما كانت محوراً عظيماً في تغير مجرى التاريخ، ودروس في التخطيط وفن إدارة الأزمات.

عظمة التخطيط بين الدار والغار:

حينما اشتد الأذى على المسلمين في مكة، وكانت هناك فرصة مواتية لانتشارها خارجها، جاء الإذن الرباني لرسوله والمستضعفين بالهجرة، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم جاهزية التخطيط للخروج بالمسلمين دون خسائر، وقد تحققت الخطوة الأولى بهجرة المسلمين، وجرى الاستعداد للخطوة الثانية؛ وهي خروج النبي الكريم، التي جاءت في ليلة السابع والعشرين من صفر السنة الرابعة عشرة من النبوة، وأتى إلى دار أبي بكر رضي الله عنه في وقت الظهيرة متخفّياً على غير عادته، ليستكمل أدوات التخطيط المحكم الأولى للخروج من مكة، حيث جهز صاحبه أبو بكر راحلتين، وأوصى ابنته أسماء بمهام توفير المؤن، واستعان بأهل الخبرة من قريش المؤتمنين لإرشادهم على الطريق الصواب كعبد الله ابن أريقط، والعمل على إزالة آثار أقدامهم حتى لا يتعرف عليها أحد من قريش، ثم جاء التكليف لعلي بن أبي طالب بالتخلف عن السفر قليلاً لرد الأمانات لأصحابها، والنوم مكان الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار هو

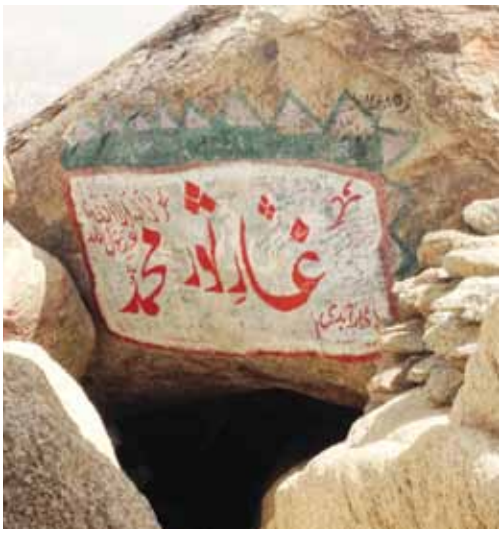

طريق المدينة الرئيس المتجه شمالاً، سلك طريقاً عكسياً؛ وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن، حتى بلغ إلى جبل ثور، ومكث فيه أياماً، لتبدأ المرحلة الثانية من التخطيط الدقيق بعدما قام كل من عبدالله بن أبي بكر، وعامر بن فهيرة، وأسماء بنت أبي بكر، بدورهم.

ما بالك باثنين الله ثالثهما؟

بعد أن اقتحمت قريش بيت النبي صلى الله عليه وسلم، واكتشفوا فشل مخططهم زاد غضبهم؛ فاستنفروا الناس لتقصي مكان محمد صلى الله عليه وسلم، وانطلقوا إلى كل حدب وصوب في محاولات يائسة للقبض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان التخطيط بعدم السير المباشر واللجوء لمكان اختباء حتى ييأس الكفار وتقل حركتهم، وبالفعل كان نشاط الكفار في اليوم الأول كبيراً، لكن مع مرور الأيام ظنوا أنه صلى الله عليه وسلم قد عمى عليهم ونجا منهم، لكن عيونهم كانت متيقظة لما رصدوه من مكافأة.

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار ثلاث ليال حتى انقطع عنهم الطلب، فخرجا ومعهما عبدالله ابن أريقط (الدليل)، وعامر بن فهيرة يخدمهما.

فتحت المكافأة شهية بعض المشركين؛ فسلكوا كل السبل للنيل من محمد صلى الله عليه وسلم، حتى فاز بها سراقة بن مالك، ووصل لمكان النبي صلى الله عليه وسلم، فكان التدخل الإلهي في هذه اللحظات بأن غاصت قدما فرسه أكثر من مرة، حتى يئس من النيل منهما؛ وصدق النبي الكريم حينما قال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (صحيح البخاري).

التوكل واليقين مع الأخذ بالأسباب:

إن المتأمل لحادثة الهجرة والتخطيط لها يدرك حسن توكل النبي صلى الله عليه وسلم على ربه، ويقينه أن الله حافظه وناصر دينه، وهذا التوكل لا ينافي أو يتعارض مع الأخذ بالأسباب، فقد شاء الله تعالى أن تكون الهجرة النبوية بأسباب عادية من التخفي والصحبة والزاد والناقة والدليل، ولكن لا يعني دقة الأخذ بالأسباب حصول النتيجة دائماً؛ لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله ومشيئته، ومن هنا كان التوكل واليقين والاستعانة بالله، لتقتدي به أمته في التوكل على الله، والأخذ بالأسباب وإعداد العدة.

يقول د. علي الصلابي: إنَّ من تأمَّل حادثة الهجرة، ورأى دقَّة التَّخطيط فيها، ودقَّة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، يدرك أنَّ التَّخطيط المسدَّد بالوحي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان قائماً، وأنَّ التَّخطيط جزءٌ من السُّنَّة النَّبويَّة، وهو جزءٌ من التَّكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم، وأنَّ الذين يميلون إلى العفوية؛ بحجة أنَّ التخطيط، وإحكام الأمور ليسا من السُّنَّة؛ أمثال هؤلاء مخطئون، ويجنون على أنفسهم، وعلى المسلمين.

لقد كانت الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة انطلاقة لبناء دولة الإسلام، وإعزازاً لدين الله تعالى، وفاتحة خير ونصر وبركة على الإسلام والمسلمين، ولذا؛ فإن دروس الهجرة الشريفة مستمرة لا تنتهي ولا ينقطع أثرها، وتتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل.■

عبده دسوقي

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

الرجال في كل عصر لهم علامات وآثار، والمخلصون منهم يتركون أثراً واضحاً في عموم الناس، ويسير حبُهم في الوجدان، فالرجل الصالح يترك أثراً صالحاً أينما حلّ، والمؤمن كالغيث أينما حل نفع.

ولقد رحل في سبتمبر العديد من المصلحين والدعاة الذين نشير إلى سِيَر بعضهم في السطور التالية:

مصلحون رحلوا في سبتمبر..

النفيسي وعاكف والخطيب وعبدالكريم

يوسف النفيسي..
أول رئيس لـ«الإصلاح» بالكويت

سعى في رئاسته لـ«الإصلاح» لغرس القيم وتحقيق الأهداف النبيلة ومنع المنكرات

كثيراً ما تجود الحركات الإسلامية برجال صنعوا تاريخ هذه الأمة، ومنهم العم يوسف عبدالله النفيسي الذي ساهم بمعاونة رجال مخلصين في بناء أركان دولة الكويت.

ولد يوسف عبدالله النفيسي في منطقة القبلة بالعاصمة الكويت عام 1321هـ/ 1903م، ويقال: إن عائلة النفيسي نزحت إلى الكويت عام 1892م بعد أن كانت تستوطن منطقة وسط الجزيرة العربية.

كان واحداً من أوائل الطلبة الذين التحقوا بالمدرسة المباركية التي افتتحت في 22 ديسمبر 1911م، قبل أن يعمل بالتجارة حيث اشتهر بالاستقامة والورع وطيب الخلق.

ووقع الاختيار عليه -ضمن عدد من الرجال- في مهمة حصر الكويتيين ومنحهم وثائق الجنسية الكويتية.

وبعد استقلال الكويت عام 1961م، وفي 22 يوليو 1963م أُشهرت «جمعية الإصلاح الاجتماعي» وفقاً لأحكام القانون رقم (24 لسنة 1962)، بهدف الحفاظ على الأخلاق والهوية الإسلامية للشعب الكويتي.

وفي 16 المحرم 1383هـ/ 9 يونيو 1963م، عقد أول اجتماع لجمعية الإصلاح، تم فيه انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية؛ حيث اختير يوسف النفيسي رئيساً للجمعية، وظل كذلك حتى 21 شعبان 1391هـ/ 21 أكتوبر 1971م، حينما سلم الراية لخليفته العم يوسف الحجي لظروفه الصحية.

سعى العم النفيسي -بالتعاون مع إخوانه في الجمعية- لغرس القيم وتحقيق الأهداف النبيلة في المجتمع الكويتي، وذلك بمنع كثير من المنكرات وإقرار كثير من المعروف، بإنشاء لجان الزكاة وإصدار الكتب ونشرات التوعية الإسلامية، ونشر الفضيلة بين الشباب قولاً وعملاً.

رحل العم يوسف النفيسي بعد رحلة طويلة زخرت بالعمل من أجل وطنه ودينه عن عمر ناهز 91 عاماً في 11 ربيع الآخر 1415هـ/ 17 سبتمبر 1994م.■

محمد مهدي عاكف..
نهر من العطاء

رحل محمد مهدي عاكف يوم 22 سبتمبر 2017م بعد رحلة من العطاء على جميع المستويات، التي تركت نموذجاً فريداً للشباب في العمل والثبات والصبر والاحتساب.

ولد عاكف في مركز أجا بمحافظة الدقهلية بمصر، في 12 يوليو 1928م، ونشأ في بيئة متدينة؛ فقد حرص الأب والأم على غرس معاني المسؤولية والرجولة في نفوس أبنائهما.

سافرت الأسرة للعيش في القاهرة، وتخرج عاكف في كلية التربية الرياضية، وتعرف على الشيخ حسن البنا عام 1940م، وقد برزت مواهبه في العمل وسط جماعة الإخوان المسلمين حتى صار أحد قادتها رغم صغر سنه.

كان قائداً للفدائيين بجامعة إبراهيم باشا أثناء حرب القنال وأول مرشد للإخوان يتخلى عن المنصب طواعية

وصار قائداً للفدائيين بجامعة إبراهيم باشا (عين شمس حالياً) أثناء حرب القنال عام 1952م، وهو ما جلب عليه نقمة الأنظمة التي زجت به في السجن ليقضي نحو 20 عاماً من عمره داخل السجون -بعد أن خفف عنه حكم الإعدام- حتى خرج عام 1975م.

انطلق عاكف للعمل في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ثم رئيساً لمركز ميونخ الإسلامي حيث كانت له بصمات في النهوض به، قبل أن يعود إلى مصر ويصبح عضواً بمكتب الإرشاد للإخوان، وعضواً في البرلمان المصري عام 1987م، ليعود بعدها للسجن مرات ومرات في عهد مبارك.

ووسط تدافع الأحداث، يرحل المستشار مأمون الهضيبي ليختار الإخوان مهدي عاكف ليقود سفينتهم قبل أن يتخلى عنها طواعية عام 2010م، لكنه شارك في الأحداث، وكانت له آراء سديدة إلى أن غُيب في السجون 7 سنوات قبل أن يموت فيها عام 2017م.■

www.mugtama.com

عبدالكريم الخطيب..
بين العمل الإسلامي والسياسي

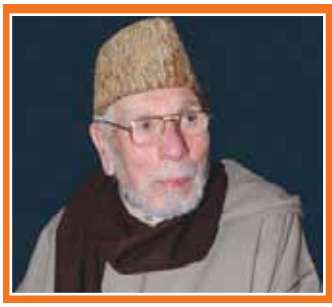

كان من المناضلين ضد المحتل الفرنسي وساهم في تأسيس قيادة جيش التحرير والحركة الشعبية الدستورية

ولد الخطيب في 2 مارس 1921م، بمدينة الجديدة جنوب الدار البيضاء بالمغرب، لأسرة مهتمة بالعلم تنحدر من أصول جزائرية بمدينة معسكر.

درس الطب في الجزائر العاصمة، واختير نائباً لرئيس جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا خلال السنة الدراسية 1944 – 1945م، قبل أن يسافر إلى جامعة السوربون بفرنسا ليستكمل دراسة الجراحة والعمل بها قبل أن يعود للمغرب عام 1951م، فكان أول جراح في البلاد، وفتح أول عيادة للجراحة بمدينة الدار البيضاء قدم فيها خدمات للمقاومين ضد الاستعمار.

انتخب عام 1956م مسؤولاً أعلى للمقاومة المسلحة، وعيّنه الملك محمد الخامس وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية عام 1960م، ثم عين وزيراً للصحة، قبل أن يصبح رئيس أول برلمان عرفه التاريخ المغربي الحديث (1963 – 7 يونيو 1965م).

كان من المناضلين ضد المحتل الفرنسي، وساهم في تأسيس قيادة جيش التحرير المعروفة بـ«لجنة تطوان»، كما أسس الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية، في فبراير 1967م، وقد اختير وزيراً عام 1972م، ثم نائباً في البرلمان عام 1977م.

بعد هروب توفيق الشاوي إبان عهد عبدالناصر، توثقت الصلة بين الخطيب، والشاوي، وأسس للعمل الإسلامي بالمغرب، وفي بداية التسعينيات فتح الأبواب لأبناء الحركة الإسلامية من حركة «الإصلاح والتجديد»، و«رابطة المستقبل الإسلامي» للعمل الحزبي السياسي، حيث اختير أميناً عاماً للحزب عام 1996م، وفاز في انتخابات عام 1997م بـ9 مقاعد، وفي عام 1998م تغير اسم الحزب إلى العدالة والتنمية، ويصبح سعد الدين العثماني أميناً عاماً عام 2004م في حين أصبح الخطيب الرئيس المؤسس للحزب.

كان للخطيب صوت عال في قضايا أفغانستان والبوسنة والهرسك، وزار مخيمات اللاجئين الأفغان في بيشاور وباكستان، وظل يعيش لدينه ووطنه حتى توفاه الله عن عمر ناهز 87 عاماً، يوم 26 رمضان 1429م/ 27 سبتمبر 2008م.■

المصادر

1 – مجلة المجتمع: العدد 1118، الموافق 21 ربيع الآخر 1415هـ، 27 سبتمبر 1994م، ص 10، والعدد التالي 1119 ص 6، 7.

2 – مهدي عاكف: إخوان ويكي، https: //bit. ly/3h4gRxT

3 – د. عبدالكريم الخطيب: موقع إخوان ويكي، https: //bit. ly/2Dy5RKm

4 – محمد يسري مرشد: حكايات على هامش الجونة، الثلاثاء 24 أبريل 2018م، https: //bit. ly/39kP6x9، وحسن المستكاوي: النادي الأهلي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2017م.

محمود عبدالكريم..
وعالمية الإسكواش

ربما لم يسمع الكثيرون عن محمود عبدالكريم، رغم أنه كان أحد الرياضيين أصحاب الأخلاق العالية والقيم النبيلة.

في حي إمبابة بمحافظة الجيزة بمصر، ولد محمود عبدالكريم، في يونيو 1912م، بأسرة فقيرة؛ وهو ما دفعه للعمل صغيراً في النوادي الإنجليزية، خاصة نادي الجزيرة (الأهلي حالياً)؛ حيث لفتت نظره لعبة الإسكواش التي أدخلها الإنجليز لمصر حينها.

كانت مهمة محمود هي جمع الكرات للاعبين، وفي يوم أعطاه أحد الضباط الإنجليز مضرب إسكواش كان مكسوراً وخيوطه ممزقة، لكنه فرح به، وأثناء عودته لمنزله، شاهد أحد اللاعبين الإنجليز يلعب وحده، فنادى عليه أن يلعب معه، وشرح له قواعد اللعبة وفنونها، وانتهت المباراة بهزيمة محمود وهو ما ترك في نفسه أثراً، كيف لمحتل أن يهزمه حتى ولو كانت هذه أول مرة يمسك فيها بالمضرب؟! ومن ثم أخذ عهداً على نفسه بالتدريب لهزيمة الإنجليزي، إلا أن الحلم كبر ليتحدى النجم الإنجليزي الأسطورة «جيم دير» (Jim Dear)، وتوسط بعض الوجهاء لدى سفير مصر بإنجلترا عبدالفتاح عمرو باشا –الذي كان بطلاً عالمياً للإسكواش أيضاً– كي يتقدم بطلب التحدي للاتحاد الإنجليزي للإسكواش وقد كان.

أقيمت المباراة على ملعب نادي لانسداون بلندن، حيث هزم عبدالكريم الإنجليزي «جيم دير» في هذه المباراة، وتوج بطلاً للعالم عام 1947م، ثم استمر 4 أعوام متتالية حتى عام 1951م بطلاً للعالم في لعبة الإسكواش، قبل أن يعتزل ويتجه للتدريب عام 1952م، وينتقل للعيش والتدريب في مونتريال بكندا، وظل بها حتى عاد لمصر عام 1984م وأصبح مدير الإسكواش بنادي «الجزيرة».

لقد كانت كلمات عبدالكريم الذي

بدأ جامعاً لكُرات لاعبي الإسكواش الإنجليز حتى صار بطلاً للعالم فيها لمدة 4 أعوام متتالية

لخص بها تفوقه وبلوغه العالمية حينما قال: «الأخلاق يا بني هي التي تدفع بالإنسان للأمام» ملخصاً لحياة هذه الشخصية.

ظل عبدالكريم محافظاً على مبدئه في حسن الخلق حتى توفاه الله يوم 9 سبتمبر 1999م، عن عمر ناهز 87 عاماً ودفن بالقاهرة.■

مقال

تمكين الله تعالى للإنسان في الأرض وربط الحياة به سبحانه

د. علي الصلابي
كاتب إسلامي ليبي

إن الله خالق الأرض وخالق الناس هو الذي مكّن لهذا الجنس البشري في الأرض، وهو الذي أودع الأرض هذه الخصائص والموافقات الكثيرة التي تسمح بحياة هذا الجنس وتقوته، وتعينه بما فيها من أسباب الرزق والمعايش، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: 10).

هو الذي جعلها مقراً صالحاً لنشأته بجوها وتركيبها وحجمها وبُعدها عن الشمس والقمر، ودورتها حول الشمس، وميلها إلى محورها، وسرعة دورتها، إلى آخر هذه الموافقات التي تسمح بحياة هذا الجنس البشري عليها، وهو الذي أودع هذه الأرض من الأقوات والأرزاق ومن القوى والطاقات ما يسمح بنشأة هذا الجنس وحياته، وبنمو هذه الحياة ورقيها معاً، وهو الذي جعل هذا الجنس سيد مخلوقات هذه الأرض قادراً على تطويعها واستخدامها بما أودعه الله من خصائص واستعدادات للتعرف على بعض نواميس هذا الكون وتسخيرها في حاجته.

التصورات الجاهلية الإغريقية والرومانية هي التي تصور الكون عدواً للإنسان والقوى الكونية مضادة لوجوده

الله أودع الإنسان من الاستعدادات ما يسمح له بالتعرف إلى بعض نواميس الكون واستخدامها في حاجته

ولولا تمكين الله للإنسان في الأرض بهذا وذاك، لما استطاع هذا المخلوق الضعيف القوي أن يقهر الطبيعة، كما يعبر أهل الجاهلية قديماً وحديثاً، ولا كان بقوته الذاتية قادراً على مواجهة القوى الكونية الهائلة الساحقة.

إن التصورات الجاهلية الإغريقية والرومانية هي التي تطبع تصورات الجاهلية، وهي التي تصور الكون عدواً للإنسان، وتصور القوى الكونية مضادة لوجوده وحركته، وتصور الإنسان في معركة مع هذه القوى -بجهده وحده- وتصور كل تعرّف إلى النواميس الكونية وكل تسخير لها -قهراً للطبيعة- في المعركة بينها وبين الجنس الإنساني.

إنها تصورات سخيفة، فوق أنها تصورات خبيثة، لو كانت النواميس الكونية مضادة للإنسان، عدوة له وتتربص به وتعاكس اتجاهه، وليس وراءها إدارة مدبرة كما يزعمون، لما نشأ هذا الإنسان أصلاً، وإلا فكيف ينشأ في كون معاد بلا إدارة وراءه؟ ولما استطاع المضي في الحياة على فرض أنه وُجد، وإلا فكيف يمضي والقوى الكونية الهائلة تعاكس اتجاهه؟ وهي بزعمهم التي تتصرف بنفسها ولا سلطان وراء سلطانها؟

التصور الإسلامي

إن التصور الإسلامي وحده هو الذي يمضي وراء هذه الجزئيات ليربطها كلها بأصل شامل متناسق، وإن الله هو الذي خلق الكون، وقد اقتضت مشيئته وحكمته أن يجعل طبيعة هذا الكون بحيث تسمح بنشأة هذا الإنسان، وأودع الإنسان من الاستعدادات ما يسمح له بالتعرف إلى بعض نواميس الكون واستخدامها في حاجته.

وهذا التناسق الملحوظ هو الجدير بصنعة الله الذي أحسن كل شيء خلقه، ولم يجعل خلائقه متعاكسة متعادية متدابرة.

وفي ظل هذا التصور يعيش الإنسان في كون مأنوس صديق، وفي رعاية قوة حكيمة مدبرة، يعيش مطمئن القلب، مشروح النفس، ثابت الخطو، ينهض بأمور عمارة وخلافة الأرض في اطمئنان الواثق بأنه مُعان على الخلافة، ويتعامل مع الكون بروح المودة والصداقة، ويشكر الله كلما اهتدى إلى سرٍّ من أسرار الوجود، وكلما تعرف إلى قانون من قوانينه التي تعينه في خلافة الأرض، وتُيسر له قدراً جديداً من الرقي والراحة والمتاع.

إن هذا التصور لا يكفه عن الحركة لاستطلاع أسرار الوجود والتعرف إلى نواميسه، على العكس، هو يشجعه ويملأ قلبه ثقة وطمأنينة، إنه يتحرك في مواجهة كون صديق لا يبخل عليه بأسراره ولا يمنع عنه مدده وعونه وليس في مواجهة كون عدو يتربص به ويعاكس اتجاهاته ويسحق أحلامه، بل هذا الكون وهذه الأرض مسخرة عند الله عز وجل للإنسان.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 29)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ (البقرة: 22)، ومن الآيات التي تدل على تسخير الكون للإنسان قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ (طه: 53)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾ (غافر: 64).

ابن الكون

إن الإنسان هو ابن هذه الأرض، وهو ابن هذا الكون، لقد أنشأه الله في هذه الأرض ومكّنه فيها، وجعل له فيها أرزاقاً ومعايش،

www.mugtama.com

ويسّر له المعرفة التي تسلمه مفاتيحها، وخلق نواميس موافقة لوجود هذا الإنسان تساعده حتى يتعرف إليها على بصيرة وتُيسّر له حياته.

إن الله يُريد من الإنسان أن يدرس حياته دائماً بما تشتمل عليه من إمكانات القوة ومواطن النعمة، فيربطها بالله المصدر لكل قوة ونعمة، ليدفعه ذلك إلى الشعور بالمسؤولية أمامه فيما يستخدم فيه القوة أو يستعمل فيه النعمة، وذلك هو مفهوم الشكر العملي، المفهوم الذي يريد الله من الإنسان أن يجعله الطابع العام لحركة حياته، والسّمة البارزة لشخصيته، وذلك بأن يحوّل كل ما أعطاه الله إلى السبيل الذي يتحرّك فيه أمر الله ونهيه، لأنه لا يملك ذلك كله، فلا حرية له أن يتصرف فيه تبعاً لمزاجه وهواه، بل يعتبر ذلك منه تمرُّداً على الله وضاداً لحالة الشكر له، ولن يتحقق ذلك إلا بالوعي الدائم لارتباط الوجود الإنساني في عناصره وخصائصه بالله، والابتعاد عن الانغلاق الفكري والروحي داخل الذات الذي يوحي إليه بالإمكانات الذاتية التي يستمدها من وجوده بعيداً عن الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾؛ فيما أودعه من عناصر القوّة في الإنسان وما سخرّه له من مخلوقاته.

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾؛ فيما تأكلون وتشربون وتلبسون

الإنسان هو ابن هذه الأرض أنشأه الله فيها ومكّنه وجعل له أرزاقاً ومعايش

الشكر وعي وإيمان لتعرف أن الله لم يخلقك عبثاً ولم يتركك بدون نظام

وتستمعون، لتشكروا الله على ذلك وتنطلقوا به في طريق طاعته.

وقال تعالى: ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ تلك هي النتيجة الطبيعية للغفلة عن معنى الحياة المسؤولة في صلتها بالله؛ لأن قضية الشكر هي قضية وعي وانفتاح وإيمان، لتعرف أن الله لم يخلقك عبثاً، ولم يخلق الحياة بدون هدف، ولم يترك الإنسان بدون نظام.

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله، من نعمه ظاهرة باطنة في النفس والمال، فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه وأدى واجب شكرها.

ويعتبر الشكر من أجلّ الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن يتحلى بها في كل أحواله؛ لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها.

ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية أمراً به، وحثاً عليه، وثناء على أهله ووعداً لهم بحسن جزائه، ونهياً عن ضده مما يدل على أمر هذا الخلق عظيم الشأن، ومن الأوامر القرآنية للتحلي به كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: 152)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ من طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: 172)، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: 114).

فإن كانت عبادتكم خالصة له سبحانه حقاً فعليكم أن تشكروا نعمه، فإن العبادة تستلزم الشكر، بل هو من ضروب العبادة وأنواعها، ويأتي الحديث مفصلاً عن هذا الخلق في محله بإذن الله تعالى.

لقد أعطانا الله عز وجل أدوات التمكين، وسخر لنا كونه وأرضه، وجعل لنا فيها المعايش التي تستحق شكره ليلاً ونهاراً، سراً وعلناً، قولاً واعتقاداً وعملاً.

المراجع

1 – علي محمد محمد الصلابي، مسودة كتاب قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام، ص 608 – 603.

2 – في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412ه، ص 1263/3.

3 – تفسير من وحي القرآن، محمد حسنين فضل الله، دار الملوك، بيروت، ط3، 1439هـ/ 2018م، ص 30/7.

4 – أخلاق النبي في القرآن والسُّنة، أحمد عبدالعزيز الحداد، دار الغرب الإسلامي، ط2، 419هـ/ 1999م، ص 185/1، 186.

5 – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م، ص 249/2.

مقال

د. أحمد عيسى

وللقلوب أعمال

لذة العبادة والطمأنينة فيها لا تكون إلا بتحقيق أعمال القلوب أثناء القيام بتلك العبادات

أمراض القلوب هي التي تحرف المنافقين عن الحق وتمنعهم من إعلان موقفهم الحقيقي

منعنا الفيروس أن نلتقي بأحبابنا ونصل أرحامنا بالسفر إليهم، ومنعنا أن نصلي في المساجد جماعة وقتاً طويلاً، فنتفقد أحوال المصلين ومن تجمعنا بهم روابط الأخوة ورياض الصالحين.

منعنا الفيروس أن نوصل صدقاتنا وزكواتنا إلى مستحقيها في وقتها.

منعنا الفيروس أن نحج أو نعتمر ونشهد المناسك والمنافع وجماعة المسلمين.

لقد منع أجسادنا، لكنه لم يمنع قلوبنا من عملها.

إن أعمال القلوب آكد وأهم من أعمال الجوارح، فهي تميز المؤمن عن المنافق، وتفاضل بين المؤمنين بعضهم بعضاً بما في قلب كل منهم من أعمال، يقول ابن القيم: «إن لله على العبد عبوديتين؛ عبودية باطنة، وعبودية ظاهرة، فله على قلبه عبودية وعلى لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة مما لا يقربه إلى ربه، ولا يوجب له الثواب، وقبول عمله؛ فإن المقصود امتحان القلوب وابتلاء السرائر، فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح» (بدائع الفوائد، ابن القيم 3/ 162 – 163).

لو حاولنا أن نعدد بعض أعمال القلوب لوجدناها كثيرة العدد وعظيمة القدر؛ أولها الإيمان الذي محله القلب، كما في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة: 41)، وكما في قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: 14).

ومن أعمال وعبادات القلب: المحبة، والتوكل على الله، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء فيه، والرهبة، والرغبة، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره، والرضا به وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل له والخضوع والخشوع والإخبات إليه، والطمأنينة به.

ومن أعمال القلوب أيضاً: الصدق، واليقين، والإيمان، والتفكر، والتدبر، والمراقبة، والورع، والشكر، والتوبة، والإنابة، والتقوى؛ التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن محلها في القلوب، فقال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا»،

ويشير إلى صدره ثلاث مرات. (رواه مسلم).

الشجرة الطيبة

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم)، فالأصل والجذر الثابت هو الإيمان، والأكل والثمر هو الطاعات، والشجرة كلما قوي أصلها (بالأعمال القلبية) قويت فروعها (أعمال الجوارح)، وأيضاً كلما قويت فروعها ثبت أصلها.

«عن ابن عباس في قوله: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، (كشجرة طيبة) وهو المؤمن، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء» (تفسير ابن كثير).

من الآيات في هذا قول الله عز وجل: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ (الحج: 37)، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: 2)، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد: 16)، وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (الزمر: 23)، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء)، فالقلب السليم أي السالم من الشرك ومن النفاق ومن البدعة هو أساس النجاة.

ويقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفتح: 18)؛ يعني بيعة أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديبية، وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة، من صدق النية، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: فأنزل الطمأنينة والثبات على ما هم عليه من دينهم وحُسن بصيرتهم بالحقّ الذي هداهم الله له. (تفسير الطبري).

ولقد كان قلب النبي صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، ومن بعده صحابته الكرام، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ» (رواه أحمد).

وهو صلى الله عليه وسلم الذي قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (رواه مسلم)، وقال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (رواه البخاري).

إن لذة العبادة والطمأنينة فيها والأنس بها وقرة العين وراحة النفس وانشراح الصدر لا تكون إلا بتحقيق أعمال القلوب أثناء القيام بتلك العبادات، فشهادة في صدق، وصلاة في خشوع، وزكاة في حب، وصوم في تقوى، وحج في رجاء.

كما أن العكس صحيح، فيكون للعبادات الصحيحة أثر رائع على القلب؛ فتغرس الصلاة محبة الله وتعظيمه في القلب، أما الصيام فيأخذ بالقلوب إلى التقوى والصبر والصفح والعفو، أما الحج فيربي القلوب على التآلف والتعارف والوحدة ويطهرها من النزاع والمعصية والتفرق، وتطهر الزكاة النفس من الشح والغل والحقد، وتزرع فيها المحبة والمودة والتراحم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» (جزء من حديث رواه مسلم).

معاصي القلوب

وفي المقابل، فإن أشد المعاصي خطراً هي معاصي القلوب؛ مثل الكبر، والغرور، وإعجاب المرء بنفسه، والشح، واليأس من روح الله، واتباع الهوى، وحب الدنيا والمال والجاه، والرياء، والحسد، الفرق بين معصية آدم عليه السلام ومعصية إبليس أن معصية آدم كانت معصية عملها بجوارحه، حين أكل من الشجرة، ومعصية إبليس كانت معصية قلب، حين أبى واستكبر، وكان من الكافرين، معصية آدم كانت زلة عارضة، نتيجة النسيان وضعف الإرادة، فتذكر وتاب، أما معصية إبليس فكانت متمكنة من قلبه، ساكنة في أعماقه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» (رواه البزار، والطبراني، وحسنه الألباني)، وهذه الثلاث هي عوامل الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة؛ لأنها أخلاق تميت القلب، وتضعف الإيمان، وتزرع النفاق والرياء، وتؤجج نيران الحقد والعداوة والبغضاء، وتسبب للمجتمع الشقاء الدائم، والفتن الماحقة، وتؤدي إلى سفك الدماء، وقطع وشائج الأرحام، واستحلال المحارم والآثام.

وعلى الطريق المناقض، فهناك المنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: 4)؛ أي إذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خَلقها وحسن صورها، ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ يقول: كأن هؤلاء المنافقين خُشُب مسنَّدة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول. (تفسير الطبري).

وهم جبناء أن يعلنوا موقفهم الحقيقيّ لأهل الإيمان والمجتمع، فلا يعلنون إيماناً صريحاً، ولا إنكاراً للحق واضحاً، وسبب ذلك كله هي قلوبهم وما تمكن فيها من مرض يحرفها عن طريق الإيمان؛ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة: 10).

فاللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، واللهم آت نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.■

www.mugtama.com

مقال

الأفكار المقبورة

محمد فتحي النادي

في دورة الحياة يأتي على الناس عصور تسود فيها فكرة من الأفكار ورأي من الآراء، ويكون هناك من العلماء والساسة وعِلية القوم وعامتهم من يؤمن بها ويعتنقها.

لا يرون فيها عيباً ولا بأساً، ويرون فيها الكمال، ويحاولون فرضها على الناس فرضاً، ويجعلونها منهج حياة.

والتاريخ مليء بالكثير من الأمثلة على أفكار وآراء سادت وحكمت فترة من الزمن طالت أم قصرت، ثم ما لبثت أن تجاوزها الناس إلى غيرها من الأفكار والآراء، ثم طواها التاريخ، وصارت أثراً بعد عين.

ومثال على ذلك منهج المعتزلة الذي اقتنع به خلفاء كبار من بني العباس كالمأمون، والمعتصم، والواثق، الذين امتحنوا الأمة كلها سنوات عديدة ليجبروها على اتباع ما آمنوا به في مسألة خلق القرآن؛ فقد كتب المأمون إلى نائبه على العراق إسحاق بن إبراهيم الخزاعي كتاباً يمتحن العلماء، يقول فيه: «وقد عرفنا أن الجمهور الأعظم والسواد من حشو الرعية وسفلة العامة، ممن لا نظر لهم ولا روية، أهل جهالة وعمى عن أن يعرفوا الله كنه معرفته، ويقدروه حق قدره، ويفرقوا بينه وبين خلقه، فساووا بين الله وبين خلقه، وأطبقوا على أن القرآن قديم، لم يخترعه الله.

فمال قوم من أهل السمت الكاذب والتخشُّع لغير الله إلى موافقتهم، فرأى أمير المؤمنين أنهم شر الأمة ولعمر أمير المؤمنين، إن أكذب الناس من كذب على الله ووحيه، ولم يعرف الله حق معرفته.

فاجمع القضاة، وامتحنهم، فيما يقولون، وأعلمهم أني غير مستعين في عمل، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه، فإن وافقوا فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود، ومسألتهم عن علمهم في القرآن، ورد شهادة من لم يقر أنه مخلوق.

وكتب المأمون أيضاً في أشخاص سبعة: محمد بن سعد، وابن معين، وأبي خيثمة، وأبي مسلم المستملي، وإسماعيل بن داود، وأحمد الدورقي، فامتحنوا فأجابوا.

قال ابن معين: جَبُنا خوفاً من السيف»[1].

ثم دار الزمان دورته، وذهبت الفكرة والفتنة، وما عاد يعرفها أحد إلا من يدرسها بقاعات الدرس في تاريخ الفرق والمذاهب.

ونسي التاريخ رؤوس الفتنة أو حط من شأنهم، وأعلى من قيمة من ثبت في الفتنة؛ فأصبح القاضي ابن أبي دؤاد في مزبلة التاريخ، والإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السُّنة.

وأصبح كثير من أفكارهم كنفي الشفاعة، وإنكار عذاب القبر، والحكم بخلود مرتكب الكبيرة في النار من الأفكار المقبورة.

واستقرت العقائد في غالب الأمة على إثبات الشفاعة، وعذاب القبر في الحياة البرزخية، وعدم خلود العاصي في النار.

وتظل هذه الأفكار المقبورة حبيسة ومدفونة في كتب أصحابها الذين عرضوا تلك الأفكار وشرحوها وجادلوا عنها، أو في كتب مخالفيهم الذين ردوا عليهم وفندوا آراءهم وأفكارهم.

لكن يأتي البعض وينبش في تلك الأفكار، ويحاول بعثها من جديد، وقد ينجح ويثير بلبلة، وقد يفشل فتظل كما هي مقبورة.

فمذهب اللذة والمتعة كان ينادي به «أبيقور» اليوناني قبل الميلاد، ثم ظهر من جديد في الغرب في القرن الثامن عشر الميلادي على يد الفيلسوفين الإنجليزيين «جيرمي بنتام»، و«جون ستيوارت ميل».

وهذا المذهب مذهب غير أخلاقي فلسفي «يرى أن اللذة هي الشيء الخيِّر الوحيد في الوجود، واللذة إما أن تكون جسمية وإما أن تكون عقلية، وإذا كانت آلام العقل أقسى من آلام البدن، فإن الإنسان يجب أن يحيا حياة فاضلة حتى يستشعر اللذة؛ لأن رجحان كفة اللذة التي هي مبعث السعادة، يعني صيرورة حياة الإنسان مصدراً للمزيد من اللذة»[2].

بين ابن تيمية وميكافيللي

وعلى الجانب الآخر، هناك أفكار في أول نشأتها وظهورها لا يراد لها الذيوع والانتشار، ويتم محاربتها بشتى الوسائل، بدءاً من محاربة صاحبها وأتباعه، إلى حرق كتبها ومنعها من النشر.

فهذه أفكار وآراء يراد لها أن تكون أفكاراً مقبورة.

التاريخ مليء بالكثير من الأمثلة لأفكار سادت فترة من الزمن ثم طويت وصارت أثراً بعد عين

خلفاء كبار من بني العباس تبنوا منهج المعتزلة وأجبروا الناس على اتباعه ثم دار الزمان وذهبت فكرتهم

لكنها بعد فترة ورغم الحصار والمحاربة والتنكيل لا تعدم من يقبلها ويؤمن بها ويعمل على نشرها في الآفاق.

وأشهر مثالين في وجهة نظري أفكار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي تمت محاربته لمخالفته ما كان مستقراً عند الساسة والعلماء من أفكار السادة الأشاعرة رضي الله عنهم.

حتى إنه قد «نُودِيَ بدمَشْق: من اعْتقد عقيدة ابْن تَيْمية حل دَمَه وَمَاله خُصُوصاً الْحَنَابلَة، فَنُودِيَ بذلك، وقرئ المرسوم، وَقرأَهَا ابْن الشهَاب مَحْمُود في الْجَامع، ثمَّ جمعُوا الْحَنَابلَة من الصالحية وَغَيرهَا وأشهدوا على أَنفسهم أَنهم على مُعْتَقد الإِمَام الشَّافعِي»[3].

ومات ابن تيمية في الحبس، ورغم ذلك خرجت الجموع الغفيرة لتشييعه و«تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حمل بعد أن صلِّي عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور»[4].

ثم بعد قرون من موته جاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي وسار على نهجه، واعتنى بكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم اعتناء بالغاً؛ يقول عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ: «أكب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ومؤلفات تلميذه محمد بن قيم الجوزية، فازداد بهما علماً وتحقيقاً وعرفاناً، وقد كتب بخط يده كثيراً من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، لا يزال بعضها موجوداً بالمتحف البريطاني بلندن»[5].

ثم بعد أكثر من مائة عام جاء الملك عبدالعزيز آل سعود وأبناؤه من بعده فنشروا كتب ابن تيمية، وأنفقوا الأموال الطائلة على طباعتها، فصارت أفكار ابن تيمية لها سطوة على غيرها من الأفكار.

والمثال الآخر أفكار «ميكافيللي» التي أودعها كتابه «الأمير»، وأشهرها فكرته «الغاية تبرر الوسيلة» التي أصبحت عماد السياسة الغربية والطغاة منذ عصور النهضة، رغم المحاربة الشديدة لها في القرن السادس عشر الميلادي.

وقد «دافع ميكافيللي في كتابه عن نهجه شارحاً بالتفصيل المكثف العميق أساليب سيطرة الحكام على الشعوب؛ حيث استنتج أن على الأمير ألا يعبأ بأن يوصف بالشدة ما دامت هذه الشدة من أجل الحفاظ على مواطنيه وولائهم له؛ فالحريات هنا تعتبر مسألة فردية صغيرة لا مانع من انتهاكها إذا ما أردنا الحفاظ على وحدة وتماسك البلاد؛ فمن يصبح حاكماً لمدينة حرة ولا يدمرها فليتوقع أن تقضي عليه؛ لأنها ستجد دائماً الدافع للتمرد باسم الحرية وباسم أحوالها القديمة.

مكيافيللي لا يتصور الأمير كرجل لديه مسؤوليات كثيرة، بل مسؤوليته الوحيدة هي ضمان استقرار الدولة التي يحكمها فينبغي ألا تكون له غاية أو فكرة سوى الحرب وطرق تنظيمها.

نصح ميكافيللي الأمير بالقضاء على معارضيه واقتلاعهم من الجذور فلا تقوم لهم قائمة أبداً، وبذلك يأمن انتقامهم ويجعلهم درساً عملياً للعامة.

المكر بالنسبة لميكافيللي يجب أن يكون أسلوب حياة معجون في كل شيء يفعله الأمير يُشعره بالمتعة عندما يخدع العامة ويُشعره بالمتعة المضاعفة عندما يخدع المخادعين»[6].

والخلاصة:

أن المعتزلة مع أفكارهم دخلوا مقبرة الأفكار.

وابن تيمية، وميكافيللي مع أفكارهما خرجوا من مقبرة الأفكار.

وما زالت عجلة الأفكار دائرة.

ابن تيمية حورب لمخالفته ما كان مستقراً عند الساسة والعلماء من أفكار الأشاعرة ثم بُعثت أفكاره بعد مئات السنين

«ميكافيللي» نصح الأمير بالقضاء على معارضيه واقتلاعهم من الجذور فلا تقوم لهم قائمة أبداً وبذلك يأمن انتقامهم

الهوامش

(1) سير أعلام النبلاء، (10/287-288) باختصار.

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان (2/791).

(3) الدرر الكامنة لابن حجر (1/171).

(4) البداية والنهاية لابن كثير، (14/156-157) باختصار.

(5) مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص23 باختصار.

(6) مقالة ميكافيللي.. أراد توحيد إيطاليا فأصبح ملهماً للطغاة، لعبدالرحمن السر، https://bit.ly/34LaYT5 باختصار.

www.mugtama.com

مقال

العنصرية..
كيف عالجها الإسلام وحالها الآن؟

طه سليمان عامر
رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا

إنها لحظة العصيان والتمرد على الله تعالى يوم أعلن إبليس في صفاقة فضلاً مزعوماً له أنه خير من آدم عليه السلام، وبالتالي فلن ينصاع لأمر الله بالسجود؛ فكانت بذرة العنصرية الأولى في الأرض، ومع تَقلُّب الأزمان والعصور تتجلى تلك النزعة البغيضة في صور متعددة، إلى أن جاء الإسلام والناس مراتب وطبقات لا حسب مؤهلاتهم وقدراتهم وطاقاتهم، بل لأن إنساناً وُلد فقيراً أو أسود فعليه إذاً أن يتجرع مرارة إثم لم يرتكبه، وعاقبة فعل لم يجْنه.

ورحم الله الإمام أبا الحسن الندوي الذي كتب كتابه المشهور «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟»، وذكر فيه مظاهر الطبقية في الحضارات والأمم السابقة إلى أن جاء الإسلام فصرخ في أذن الدنيا أن عودوا إلى فطرتكم واستقيموا.

ناهض الإسلام العنصرية وقدَّم حلولاً ونماذج عملية وخططاً ورؤية للقضاء عليها، ما أحوج العالم الآن للاستفادة منها!

الإسلام بنى خُطته في القضاء على العنصرية من خلال التغيير الفكري والنفسي في نظرة الإنسان للإنسان

الإسلام لم يكتف بالحديث عن المساواة بل وضع تشريعات تصون الكرامة الإنسانية وتحفظ حقوق الضعفاء

وتلكم أهم المحاور التي عمل عليها الإسلام للقضاء على العنصرية، وبناء مجتمع متراحم متعاون متساند.

أولاً: تغيير الفكر وبناء الوعي:

تتكون مشاعر الإنسان ويتحدد سلوكه من خلال تَشكُّل قناعات معينة وبها يسير ويختار، ومن هنا فقد بنى الإسلام خُطته في القضاء على العنصرية من خلال التغيير الفكري والنفسي في نظرة الإنسان للإنسان:

- ألحَّ كثيراً على أن الناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد، وتكرر النداء في القرآن الكريم: «يا بني آدم»، «يا أيها الناس»، وأول سورة في ترتيب المصحف هي «الفاتحة» التي افتتحت بـ«الحمد لله رب العالمين»، وآخر سورة «قل أعوذ برب الناس».
- تثبيت معنى الأخوة الإنسانية الجامعة، وقد وردت على ألسنة الأنبياء في دعوة أقوامهم، قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: 65)، وقال تعالى: ﴿وَإِلَـى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: 61)، وهكذا دَرَج الخطاب النبوي مع الناس، لا فوقية ولا طبقية ولا علو في الأرض.
- التأكيد على أن التفاضل بين الناس في الدنيا لا يكون إلا لما يبذلون من جهد نفسي وخلقي وروحي وعملي يفيد الناس، ولا دخل للجنس أو اللون أو العرق في إنزال الناس منازلهم.
- التعارف مقصد الاختلاف في الخلق كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

لذلك انفتح المسلمون الأوائل على تراث الأمم السابقة وانتفعوا به وحافظوا عليه، وكانوا الناقل المعرفي الثقافي للتراث اليوناني في العصر الذهبي للخلافة العباسية، وأثناء فترة العطاء الحضاري الواسع للمسلمين في الأندلس، ومن هذه الرؤية احترم المسلمون عند فتح البلاد العادات والتقاليد والتراث الذي هو جزء من تاريخ الأمم؛ فلم يؤثَر أن قام المسلمون بمحو اللغات واللهجات والعادات كما فعلت بعض الدول الاستعمارية الحديثة في البلاد التي اغتصبتها ونهبت ثرواتها.

ثانياً: إقرار الحقوق وتطبيقها:

لم يكتف الإسلام بالحديث عن المساواة والأخوة الجامعة، بل وضع القوانين والتشريعات التي تصون الكرامة الإنسانية وتحفظ حقوق الضعفاء، فأوجب الزكاة رعاية لحق الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات، ووصى باليتيم حتى لا يشعر بالحرمان والجور، وأكرم منزلة المرأة ورفع شأنها ورد كرامتها، ويوم جاء أرسى خطة لتجفيف منابع الرق، من خلال تغيير النظرة له، وحسن معاملته والانتفاع به ورعاية حقوقه، وفتح الباب أمام التحرير والترغيب فيه وجعل كفارات كثيرة منطلقاً لعتق العبيد، حتى أثر عن ابن عمر أنه كان يعتق العبيد الذين يصلّون؛ فكان أحدهم يتظاهر بالصلاة

حتى ينال حريته، ولما قيل له: إنهم يخدعونك فقال: من خدعنا في الله انخدعنا له.

وقد زوَّج النبي صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة -ولم يكن ذا نسب- من السيدة زينب بنت جحش سليلة الحسب والنسب، ثم نسبه لنفسه وتبناه ليعلن مرحلة جديدة في معاملة الإنسان، ولم تمنعه عبودية الأمس أن يكون قائد جيش المسلمين في غزوة «مؤتة»، كما لم تمنع حداثة سن ولده أسامة أن يتولى بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيادة الجيش وفيه كبار الصحابة.

وها هو بلال بن رباح رضي الله عنه يحتل أرفع المنازل في قلوب الصحابة وقلوب الأمة.

وقد فصَّل القول في قضية منهج الإسلام في تحريم الرقيق الأستاذ محمد قطب في كتابه «شبهات حول الإسلام»، فليرجع إليه من شاء.

ثالثاً: حماية حقوق الإنسان:

لا يكفي أن تُعلَن الحقوق، بل يجب أن تكون هناك جهات تقوم على حراستها وتنفيذها ومراقبة أي خروقات ممكنة.

ولعل أقدم دستور ظهر في العالم وهو وثيقة المدينة المنورة التي صنعت مجتمعاً واحداً، الكل فيه سواء، قام على أساس المواطنة، والوحدة في إطار التنوع، وضمنت الوثيقة لغير المسلمين أن يعيشوا بسلام وأمن مع إخوانهم المسلمين.

وحين تعرَّض يهودي لاتهام ظالم بالسرقة نزل القرآن ليعلن براءته ويرفض موالاة الخائنين، قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ

القرن العشرون لم يسدل الستار إلا على رحلة معاناة واضطهاد حول العالم لأقليات تم سحقها

أحزاب اليمين المتطرف لا يتركون أزمة تمر إلا امتطوا صهوتها بالشحن المعنوي ضد الأجانب عامة والمسلمين خاصة

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: 105).

ورفَضَ كل أشكال التمييز بين الناس، كما بينت سورة «الحجرات»؛ فلا مكان لسخرية أو طعن ولا همز ولا لمز، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: 11).

ويوم سبَّ أبو ذر الغفاري بلالاً وعيَّره بأمه قائلاً: يا ابن السوداء، قال له النبي صلى الله عليه وسلم غاضباً: «ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل».

ثم هو المُعلِن صلى الله عليه وسلم على مشهد من العالَم الدعوة إلى السلام العالمي في حجة الوداع أنَّ الناس كلهم إخوة، وأن ربهم واحد وأباهم واحد؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (رواه أحمد، والبيهقي).

أمَّا بعد.. فالعنصرية تتجدد

نعم، عانى العالم ولا يزال يعاني في العصر الحديث من العنصرية، وعلى ضفاف أحد الأنهار في المدينة البريطانية بريستول قام المحتجون بإنزال تمثال تاجر العبيد البريطاني «إدوارد كولستون» وإلقائه في النهر، وسط مظاهرات عالمية حاشدة على إثر مقتل الشاب الأمريكي الذي يعود إلى أصول أفريقية «جورج فلوريد» خنقاً تحت أقدام الشرطة الأمريكية في مشهد وحشي؛ ليذكرنا بحقبة الاستعباد يوم سيق إلى عمارة الأراضي الجديدة في الأمريكيتين مئات الآلاف من السود دون أدنى حقوق، وبيعوا كما تباع الأنعام.

ولم يسدل القرن العشرون الستار إلا على رحلة معاناة واضطهاد حول العالم لأقليات تم سحقها، فما زال السود في أمريكا يعانون التمييز، وذهبت الملايين في رواندا ضحايا العنف، وقدم نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا أسوأ نظام للتمييز بين الناس.

والآن يعاني المسلمون في الغرب من ظاهرة الكراهية والاعتداءات المتكررة، ويوم كتابة هذا المقال (يوم فاتح يوليو الماضي) هو الذكرى الحادية عشرة لمقتل د. مروة الشربيني (مصرية) طعناً في قاعة محكمة مدينة دريسدن شرقي ألمانيا على يد متطرف عنصري لتذكرنا بالاضطهاد والاعتداءات المتكررة على المسلمين ومساجدهم وسط ردود فعل سياسية وقانونية وإعلامية دون المستوى المأمول.

لقد سجل مكتب التمييز 1200 حالة اعتداء عنصري في عام 2019م بنسبة زيادة 10% عن العام الذي سبقه؛ ما يعني أن المستقبل سيشهد مزيداً من العنف والكراهية ضد المسلمين ما لم يتم اتخاذ التدابير اللازمة لوقف الاعتداءات وتجفيف منابعها.

وشهد يوم 19 فبراير 2020م حدثاً إرهابياً عنصرياً دامياً، حينما قتل أحد

مقال

المتطرفين تسعة من الشباب المسلمين على أحد المقاهي في مدينة هاناو الألمانية.

وقد أحدث صدمة هائلة عند الرأي العام، ووضع ألمانيا أمام تحديات صعبة، كما ألقى بظلال كثيبة وأسئلة مفتوحة عن مستقبل المسلمين في البلاد، وحقوقهم كمواطنين لا يشعرون بالأمان والسلام، ووسط رفض رسمي وشعبي كبير للمذبحة تجلى في مظاهرات شعبية واسعة النطاق على الساحة الألمانية، أعلنت عن رفضها للعنصرية والاعتداء على المسلمين وإدانتها لليمين المتطرف.

مَن يُشعل النار؟

من يطالع الواقع سيرى أن هناك أسباباً وقوى غير خافية وراء هذه العنصرية المتزايدة، منها:

1 - قوى اليمين المتطرف ومن يدور في فلكها:

لا تفتأ أحزاب اليمين المتطرف إحراق المجتمع بدعاوى العنصرية والإعلان عن كراهية المسلمين والأجانب، ولا يدعون أزمة تمر إلا امتطوا صهوتها بالشحن المعنوي ضد الأجانب عامة والمسلمين خاصة، وقد حاز خطابهم على قبول من قطاع بالشارع الألماني تجلى في صناديق الانتخابات، وغدا حزب البديل ثالث قوة في البرلمان الألماني.

وحينما وجدت بعض الأحزاب المعتدلة سابقاً ذلك، قامت هي كذلك بالمزايدة في خطاب الكراهية والشحن طمعاً في كعكة الأصوات، ثم لتذهب المبادئ إلى الجحيم!

2 - بعض الأجهزة الإعلامية:

إذا أردت أن تعرف الانحياز السافر فتتبع تغطية وتحليل وسائل الإعلام لحدث إرهابي يكون المتهم فيه مسلماً، ثم قارن بعد ذلك إن كان الفاعل في حدث آخر غير مسلم.

في مارس 2015م، تحطمت الطائرة الألمانية القادمة من برشلونة إلى دوسلدورف وعلى متنها 150 راكباً فوق جبال الألب لقوا حتفهم فوراً، وأظهرت تحقيقات المدعي العام الفرنسي أن مساعد الطيار (28 عاماً) ألماني الجنسية تعمد تدمير الطائرة.

الشاهد في الأمر أن جميع التصريحات الرسمية الألمانية والفرنسية نفت أن تكون هناك دوافع إرهابية، أو أيديولوجية، وصمت الإعلام ولم يُقلب أوراق الجاني ليقف على دوافعه الإرهابية! ولو كان الفاعل أجنبياً لوجدتَ التقارير الوافية عن أصوله المهاجرة، أو تديُّنه، أو غير ذلك من الدوافع الإرهابية الشيطانية خلف هذا الجنون.

لقد سارعت هيئة حماية الجريمة الألمانية في حادثة هاناو بالقول: إن الحادث لا يحمل بصمات عنصرية؛ الأمر الذي دعا المدعي العام الألماني أن يعلن أنه حادث إرهابي عنصري، وكان تصريح وزير الداخلية في الولاية قريباً منه، وصرَّح رئيس الجمهورية الألماني «شتاين ماير»، والمستشارة «ميركل» بأنه حادث إرهابي.

3 - بعض الأجهزة الأمنية:

ما زالت بعض أجهزة الأمن تتعامل بعنصرية مع المهاجرين ومن ينحدرون من أصول أجنبية، وهناك أجهزة رفيعة المستوى انحرفت عن هدفها وتحيزت لليمين المتطرف، إنه يمارس الشحن العنصري من خلال تقاريره التي يشيطن فيها فئات ومؤسسات من المسلمين، ويتهمهم بالتطرف ومعاداة قيم المجتمع ومناهضة الدستور دون دليل أو بيّنة؛ الأمر الذي يعزز مكانة دعاة الكراهية ويحرم المجتمع من كفاءات وطاقات عظيمة.

لذلك يعتبره كثير من المراقبين شريكاً في حالات الاعتداء على المسلمين، وفي المظاهرات العارمة التي اشتعلت في المدن الألمانية تضامناً مع ضحايا الاعتداء الإرهابي الذي وقع في هاناو سمعتُ كثيراً من المتحدثين والمسؤولين في أحزاب وقوى مجتمع مدني يلقون باللائمة على جهاز المخابرات الداخلية.

كيف نكافح العنصرية؟

إن العنصرية داء خطير على مستقبل الإنسانية كلها، ومن هنا وجب أن تتضافر الجهود الرسمية والشعبية لمناهضة جميع صور العنصرية، من خلال:

1 - سَن وتفعيل القوانين التي تجرّم جميع صور التمييز وتلاحق من يحرض عليها في الوسائل المقروءة أو المسموعة أو المرئية.

2 - تأسيس مراكز تابعة للحكومات لمراقبة أداء الشرطة وأجهزة الأمن.

3 - تأسيس مراكز لرصد انتهاك حقوق الإنسان والتمييز ضده في العمل أو السكن أو غير ذلك.

4 - العناية بالأعمال الفنية والأدبية التي ترسخ معاني الأخوة والتعاون بين الناس جميعاً؛ بالأغنية الهادفة والقصيدة الملهبة والفيلم الجميل نستطيع أن نشيع أرقى المعاني، ونحاصر التيارات التي تزرع الشوك في طريق البشر.

5 - إحياء ذكرى ضحايا العنصرية حول العالم، والاعتذار عن حقبة الاستعمار السابقة للدول التي نهبت ثروات الشعوب، واستعبدت الملايين منهم، وطي هذه الصفحة الحزينة.

6 - إبراز الفترات التاريخية المهمة التي عمَّ فيها السلام والتعاون بين الشرق والغرب، والعناية بالمؤلفات في هذا الشأن.■

بعض أجهزة الأمن تمارس الشحن العنصري من خلال تقارير تشيطن فيها فئات من المسلمين

يجب العناية بالأعمال الفنية والأدبية التي ترسخ معاني الأخوة والتعاون بين الناس جميعاً

مسلمو الكاميرون.. حرية دينية وضعف سياسي

أشرف عيد

تقع الكاميرون في منطقة وسط غرب أفريقيا بين جمهورية أفريقيا الوسطى ونيجيريا، وعاصمتها «ياوندي»، ويبلغ عدد سكانها 24 مليوناً، ولغتهم هي الفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى لهجات أخرى، ولا توجد إحصائية دقيقة بعدد المسلمين في البلاد، ويقدر عددهم بـ7 ملايين بنسبة 30% تقريباً من السكان.

وتنتشر القبائل المسلمة على الجانب الأيمن من نهر «ساناجا»، وفي هضبة «أداماوا»، وفي حوض «ينوي»، وفي القسم الشمالي من البلاد في حوض بحيرة «تشاد»، وفي جبال «ماندرا»، وهضبة «النولوب باموم»، كما يتواجد المسلمون في معظم المدن الجنوبية بالكاميرون.

ومن أهم القبائل المسلمة في الكاميرون: الفولاني، الباموم، التيكار، الماندرا، الشاوية العرب، وقبائل الكيردي، وينتمي كثير منهم للمذهب المالكي.

أولاً: حقوق المسلمين في المجتمع:

يتمتع المسلمون بحريتهم الدينية التي كفلها الدستور دون تمييز؛ فحق الاعتقاد مكفولٌ للجميع؛ حيث يوجد بالكاميرون أكثر من ألف مسجد، وتنتشر المساجد في جميع المدن والقرى، فقلّ أن تجد مدينة أو قرية تحتوي على عدد من المسلمين إلا وتجد فيها مسجداً أو مصلى أو أثراً إسلامياً، ولا تمنع الدولة بناء المساجد بالتبرعات، وتسمح برفع الأذان وإقامة الصلاة في الخلاء كصلاة العيد، واتخذت الدولة الأعياد الإسلامية عطلة رسمية للبلاد، ويحضر حاكم كل منطقة صلاة العيد -نيابة عن رئيس الدولة- لتهنئة المسلمين، وتوجد للمسلمين 50 مدرسة ابتدائية، و5 مدارس إعدادية (فرنسية وعربية) تهتم بتعليم الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية.

وتسمح لرموز المسلمين بالظهور في وسائل الإعلام المختلفة، وتقديم بعض البرامج الدينية، مثل «البرنامج الإسلامي» في إذاعة الكاميرون الرسمية، لكن تأثير المسلمين في صنع القرار السياسي ضعيف، لا يتناسب مع نسبتهم؛ بسبب عدم توحدهم في أحزاب ليكون لهم وزن في المعترك السياسي، وبالرغم من ذلك، فإنهم يشاركون في بعض المناصب الإدارية في الدولة.

ثانياً: الهيئات الإسلامية:

يوجد بالكاميرون لجان وهيئات تشرف على شؤون المسلمين، منها: «المجلس الوطني الإسلامي»، و«لجنة ترجمة القرآن الكريم»، و«الجمعية الثقافية»، و«جمعية الكاميرون الإسلامية» التي تأسست عام 1963م.

لكن روابط الصلة بين الكاميرون والعالم الإسلامي ضعيفة، تقتصر على بعض المنح التي تقدّمها جامعات إسلامية للطلاب الكاميرونيين الذين يجيدون اللغة العربية ويحفظون أجزاء من القرآن الكريم للدراسة في جامعة الأزهر بمصر، والجامعة الإسلامية بالسعودية.

المساجد تنتشر بجميع المدن والقرى وللمسلمين 50 مدرسة ابتدائية و5 إعدادية

تأثير المسلمين في صنع القرار السياسي ضعيف لا يتناسب مع نسبتهم بسبب عدم توحدهم في أحزاب

من التحديات التي تواجه المسلمين الجهل بالشريعة وقلة العلماء والفقر والأمية وانتشار منظمات التنصير

ثالثاً: التحديات التي تواجه مسلمي الكاميرون:

- جهل كثير من المسلمين هناك بالشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى قلة العلماء والدعاة المتخصصين في العلوم الشرعية.
- انتشار الفقر والأمية في مناطق المسلمين وفي مدنهم الكبرى؛ في ناروا وماروا وساميان، حتى إن الأب قد لا يستطيع الإنفاق على تعليم أولاده، وقد يعجز كثير منهم عن تأمين المعيشة اليومية لأسرته، ومن ثمّ فإنهم يحتاجون إلى الدعم المادي الذي لا يصل إليهم منه إلا القليل من بعض مؤسسات الإغاثة من الكويت والإمارات اللتين قامتا بإنشاء عدد من المدارس والمراكز الإسلامية في العاصمة «ياوندي» التي يعيش فيها أكثر من 900 ألف مسلم.
- انتشار منظمات التنصير بين الأحياء المسلمة الفقيرة؛ حيث يقدمون لهم المساعدات في جميع المجالات التي يحتاجونها، فتوجد في مناطق جنوب الكاميرون بعثات تبشيرية مكثفة ومؤسسات إعلامية تعرض مشاريعها في التعليم والعمل الإغاثي، ولجأ بعضها أخيراً إلى فتح باب الحوار الإسلامي المسيحي، ويؤثر نشاطهم في المسلمين الفقراء والأميين، ومن ليس لديهم ثقافة إسلامية.■

المراجع

1 - سيد عبدالمجيد بكر: الأقليات المسلمة في أفريقيا، إدارة الصحافة والنشر، مكة المكرمة 1995.

2 - د. محمد عاشور: دليل الدول الأفريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 2007م، ص 278.

3 - د. أحمد محمود السيد: الأقليات الإسلامية في الكاميرون، مجلة البيان، 2011/4/6م.

4 - حوار مع الداعية الكاميروني د. أحمد جروز، صحيفة الجزيرة السعودية، آفاق إسلامية، العدد 12552، الجمعة 21 محرم 1428هـ.

تنمية أسرية

ياسر محمود
متخصص في الشؤون التربوية والأسرية

كيف تربي طفلاً سوياً نفسياً؟

تعد مرحلة الطفولة حجر الأساس لبناء شخصية الإنسان؛ ففيها تتكون الأبعاد الرئيسة لشخصيته، ويؤكد كثير من الباحثين في علم نفس الشخصية وعلم نفس النمو أن الطفولة تؤدي دوراً كبيراً في توافق الإنسان وتمتعه بالصحة النفسية في باقي مراحل حياته. فعلى الوالدين أن يهيئا من العوامل التربوية ما يساعد على تحقيق السواء النفسي للطفل، وأن يتجنبا كل ما قد يؤدي إلى تعرضه لأزمات نفسية قد تحدث له اضطراباً في نموه النفسي.

عوامل مقومات الاتزان النفسي:

1 - أجواء أسرية آمنة:

وفّر لطفلك بيئة أسرية آمنة ومستقرة، خاصة فيما يتعلق بعلاقتك بشريك حياتك؛ لأن شكل العلاقة بين الوالدين يمثل جانباً أساسياً في صحة الطفل النفسية، فإذا كانت العلاقة بينهما تتسم بالدفء والحب والتفاهم؛ فإن ذلك ينعكس على الطفل بصورة إيجابية، أما إذا كانت تتسم بكثرة التوتر والمشاحنات والنزاعات؛ فإن ذلك يؤدي إلى العديد من الآثار السلبية على نفسيته.

2 - عبِّر عن حبك:

احرص على أن تعبّر عن حبك لطفلك بكل الوسائل الممكنة، كإخباره بذلك بصورة مباشرة، أو بتقبيله، أو بضمه إلى صدرك، أو بالمسح على رأسه، أو بغير ذلك من وسائل التعبير؛ فهذا يشعره بالأمن النفسي، ويلبي له واحدة من الاحتياجات التي تؤثر في السواء النفسي له.

3 - تفهم طبيعة المرحلة:

تعرف على المرحلة العمرية التي يمر بها طفلك، فهي من أهم الموجهات التي تضعك في الاتجاه الصحيح في تربيته، فمعرفتها وإدراك خصائصها تساعدك على تفهم ما يصدر منه من سلوكيات وتصرفات، وبالتالي تكون أقدر على التعامل مع هذه السلوكيات بأسلوب مناسب وهادئ يساعد على تنمية شخصيته بشكل سوي، أما عدم إدراكها فيؤدي إلى العديد من الأخطاء التربوية التي ربما تؤثر على بناء شخصيته بشكل سلبي.

وعلى سبيل المثال؛ فإن الطفل في مرحلة الطفولة المتوسطة (2 – 6 سنوات) يكون خياله واسعاً وخصباً، وربما يدفعه ذلك حين يحكي عن موقف ما أن يضيف إليه خياله بعض الأمور التي لم تحدث، فيظن الآباء أنه يكذب ويتعاملون معه على أنه كاذب؛ نتيجة عدم إدراكهم لطبيعة المرحلة؛ وهذا ينعكس بصور سلبية على شخصيته.

4 - التواصل الفعال:

احرص على أن تمد جسور الحوار بينك وبين طفلك، بأن تخصص له وقتاً تتحدث إليه فيه وتسمع منه، وأن تحسن الإنصات إليه، وأن تهتم أثناء حديثك معه بمشاركته هواياته واهتماماته التي يفضلها، وأن تبتعد عن أسلوب التحقيق الذي يشعره أنه في حالة استجواب، فالحوار الناجح يؤدي أدواراً عديدة في دعم النمو النفسي والاجتماعي والفكري واللغوي للطفل، ويسمح له بالتعبير عن احتياجاته وعما يزعجه أو ما يواجهه من مشكلات، كما ينمي ثقته بنفسه.

5 - احترام إرادته:

احترم إرادة طفلك، ولا تسعَ لإلغائها؛ لأن هذا يسبب صراعاً شديداً بين الآباء والأولاد، وتداعياته السلوكية السلبية على الأولاد كثيرة، وقد تظهر في صورة سلبية واستسلام وشخصية اعتمادية، أو في صورة عناد وتمرد ومكايدة وصراع، ومشكلات ليس لها أول من آخر.

6 - تقدير الإيجابيات:

احرص على تقدير كل عمل متقن قام به طفلك أو كل سلوك جيد يصدر منه، واحتفِ بكل إنجاز يحققه في الدراسة أو في الهوايات والأنشطة أو غير ذلك، فهذا يكسبه ثقة بنفسه، ويحفزه على تطوير نفسه والسعي لتحقيق طموحه.

7 - تطوير قدراته:

اجتهد في اكتشاف قدرات طفلك ومهاراته وكل ما يتمتع به من جوانب القوة والتميز، ثم

هيئ له الفرص المناسبة لتميتها وتطويرها، ولا تحصر تميزه في مجال واحد محدد كالدراسة مثلاً، ولكن وسّع أفقك وابحث عن تميزه في مجالات مختلفة، فربما يكون مميزاً في ممارسة الألعاب الرياضية، أو لديه قدرة على القيادة والتواصل الاجتماعي الفعَّال، أو مبدعاً في الرسم والتلوين والنحت، أو يتمتع بقدرات لغوية كالخطابة والشعر والنثر، أو يجيد التمثيل واستخدام الجسم للتعبير عن أفكاره ومشاعره.. إلخ، فإن ذلك يرفع من منسوب ثقته بنفسه وتقديره لذاته.

8 - تحمُّل المسؤولية:

درِّبه على الاعتماد على نفسه في كل ما يمكنه القيام به من أعمال تناسب قدراته ومرحلته العمرية، كأن يأكل ويشرب ويرتدي ملابسه بنفسه، ويرتب سريره وأدواته ولعبه، ويشارك في تحضير المائدة، ويقوم بواجباته المدرسية وحده، ويرعى أخاه الصغير ويلاعبه بحب، ويعتني برعاية نبتة في المنزل.. إلخ، مع الثناء على بعض الإجادة منه، ولفت نظره بلطف إلى بعض الملحوظات المصححة للسلوك.

9 - التوازن بين الإشباع والحرمان:

احرص على إشباع احتياجات طفلك الأساسية (مثل: الطعام، الشراب، الملبس، الترفيه، الشعور بالقبول والحب والأمن والتقدير.. إلخ) بطريقة متوازنة، لا إفراط فيها ولا تفريط؛ لأن الإشباع التام يولِّد شخصاً أنانياً، اعتاد ألا ترد له حاجة ولا يرفض له طلب، بينما الحرمان الشديد يولِّد لديه مشاعر الكره والحقد لمن حوله.

10 - حسن التعامل مع الأخطاء:

تعامل مع أخطائه بطريقة هادئة، واجتهد في ضبط انفعالاتك تجاهه، وتجنب إهانته أو وصفه بالفشل والفوضوية والغباء.. إلخ، خاصة أمام الآخرين.

مدمرات الشخصية:

1 - التسلط:

ابتعد عن التحكم التام في تصرفات طفلك، كأن تفرض عليه ارتداء ملابس معينة، أو طعاماً معيناً، أو أصدقاء معينين، أو تمنعه من نشاط يحبه، أو تلزمه بمهام تفوق قدراته.. إلخ؛ لأن ذلك قد يولِّد شخصاً قلقاً يشعر

شكل العلاقة بين الوالدين يمثل جانباً أساسياً في صحة الطفل النفسية

الحوار الناجح يؤدي أدواراً عديدة في دعم النمو النفسي والاجتماعي والفكري واللغوي للطفل

دائماً بالخوف من السلطة، يتسم بالخجل والحساسية المفرطة، ويشعر دائماً بالتقصير، ولا يستطيع التعبير عن رأيه، أو قد يولِّد شخصاً في الاتجاه المعاكس؛ بمعنى أن يكون متمرداً على كل شيء، ولا يحترم أي قواعد، ويغلب على سلوكه العدوانية في تعامله مع من حوله.

2 - التمييز والتفرقة:

إياك والتفرقة بين أطفالك في المعاملة، بسبب الجنس أو السن أو الترتيب أو غيرها؛ لأن ذلك قد يولِّد شخصاً حقوداً كارهاً لأخيه المميز عنه، وقد يصاب بالانطواء والعزلة والشك المرضي في الآخرين والاكتئاب، وقد يدفعه ذلك للعقوق كرد فعل لشعوره المتنامي بعدم العدل والظلم الواقع عليه.

3 - المقارنة:

احذر من مقارنته بأي من إخوته أو أقرانه أو غيرهما؛ لأن هذه المقارنة تولِّد لديه روح الانهزام والشعور بالنقص، وتشعل نار الغيرة والحقد والكراهية تجاه المقارن به، وتزعزع ثقته بنفسه، وقد تؤدي إلى إصابته بالقلق والتوتر، وقد تدفعه إلى بعض الاضطرابات السلوكية، مثل: العصيان والتمرد، والانطواء، والتأتأة واللجلجة في الكلام، والسرقة، والكذب.. إلخ.

4 - كثرة النقد:

تجنب كثرة النقد لطفلك؛ لأن ذلك يشعره بالنبذ والإهانة والتصغير، ويجعله فاقداً للثقة فيما يقوم به، بل ويجعله خائفاً من القيام بأي حركة أو سكنة خشية أن يُنتقد، وعند ارتكابه لخطأ ما فليكن تركيزك على السلوك الذي تريد تعديله وليس على شخصه، كأن تقول له مثلاً: ضربك لأخيك سلوك غير لائق، بدلاً من أن تقول له: أنت ولد مشاغب، فهذه الطريقة تحافظ على تقديره لذاته، وتساعدك على توجيهه بطريقة إيجابية.

5 - الحماية الزائدة:

تجنب الحماية الزائدة، التي تدفعك لأن تنوب عن طفلك في القيام بما ينبغي أن يقوم هو به؛ مخافة أن يصاب بسوء أو لتوفير سبل الراحة له؛ لأن هذا الأسلوب يقلل من اعتماده على نفسه، ويضعف قدرته على تحمل المسؤولية، فينشأ ضعيف الثقة بالنفس، غير قادر على تحمل أعباء الحياة ومواجهة تحدياتها.

6 - القسوة:

احذر من القسوة الزائدة في تربية طفلك؛ لأنها قد تولِّد شخصاً ضعيفاً غير قادر على تحمل أعباء الحياة، تراه دائماً خائفاً متردداً قلقاً، مفتقداً للأمان النفسي، لا يثق في نفسه، وقد تولِّد شخصاً عنيفاً يتسم بالعدوانية تجاه الآخرين مع أقل اختلاف معهم.

7 - التعارض بين الأبوين:

تجنب التعارض بينك وبين الطرف الآخر في توجيه طفلك؛ كأن تطلب منه الأم - مثلاً- القيام بعمل ما، بينما تقابل أنت هذا الطلب بالرفض أمام الطفل، فهذا يوقعه في حيرة، ويفقده القدرة على التمييز بين المقبول والمرفوض، ويجعله مشتتاً بين الأوامر المتضاربة منكما.

8 - عدم الثبات في المعاملة:

احذر من التذبذب في التعامل مع طفلك تجاه نفس السلوك، كأن ترفض منه سلوكاً في وقت ثم تقبل منه نفس السلوك في وقت آخر؛ مما يجعله مشتتاً في إدراك الصواب من الخطأ، وقد يجعله ذلك صاحب شخصية مزدوجة في تعامله مع الآخرين.

9 - الإيحاءات السلبية:

ابتعد عن الإيحاءات السلبية والجمل الهدامة التي قد تصفه بها؛ كالفشل والكسل وضعف الشخصية.. إلخ؛ لأنك تسهم بذلك في بناء نظرة سلبية لطفلك نحو ذاته، كما أنك بهذه الطريقة تقوي بقاء هذه الصفة السلبية لديه ولا تعالجها.■

www.mugtama.com

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

ساعد أولادك وأتقن مهارات العقاب

بعض الأهل يسارعون لمعاقبة الأبناء بشدة عند أصغر هفوة وآخرون يتجاهلون العقاب بدعوى أنهم صغار

من الأخطاء الشائعة التهديد بالعقاب ثم عدم تنفيذه فيحرض الأبناء على التمادي

عندما نعاقب أولادنا على أخطائهم؛ فإننا نُعدهم لمواجهة الحياة بواقعية وبصلابة وبوعي أنه لا خطأ سيمر بلا دفع للثمن، ونعلمهم التحكم بالنفس والتفكير بتمهل قبل التصرف لمنع الندم؛ ونعلمهم الحدود التي يجب التزامهم بها بأقوالهم وتصرفاتهم، كما نعلمهم المشي والانتباه لخطواتهم حتى لا يصابوا بأذى.

لا تربية بلا عقاب وثواب، ولا يكفي الأخير فقط، ويجب وضع قوانين وتدريب الأولاد على احترامها وشرح أهميتها بأقل كلمات؛ فكثرة الكلام يشتت الانتباه ويقلل الاهتمام بالتنفيذ.

لن يمتنع الابن عن الخطأ بالحب فقط؛ فلا بد من الردع، وهو يبحث عن قائد، فإن لم يجده بالبيت بحث عنه خارجه، وغالباً ما يكون صديقاً بعمره يتسلط عليه فلا تفعل ذلك بولدك أبداً.

يجب تعلم مهارات العقاب وتغييره وفقاً للعمر وللخطأ والتنويع به؛ فلا يعتاده الابن ويفقد جدواه.

أخطاء شائعة

العقاب الخطأ يضر الأولاد مثله مثل تأجيل العقاب؛ فيجب المسارعة به، أو عدم توضيح الخطأ أو تجاهله عندما نكون بمزاج لطيف ولا نريد تعكيره بالعقاب، أو عقاب أحد الأبناء على خطأ وتجاهل عقاب ابن آخر على نفس الخطأ؛ لأننا نفضله، أو بسبب مرضه، أو لأننا عاقبناه على أخطاء أخرى مؤخراً؛ فذلك يفسد العقاب ويقدمنا للأبناء كأهل غير عادلين ويضر بعلاقتنا بهم، ويدفعهم للمزيد من الأخطاء واستقبال العقاب بلا مبالاة وأحياناً بتحدٍّ فج.

يسارع بعض الأهل لمعاقبة الأولاد بشدة عند أصغر هفوة، ويتجاهل آخرون العقاب بدعوى أنهم صغار، وعندما يكبرون سيفهمون، وكلا الموقفين ضار وخطأ.

فالتشدد بالعقاب خطأ، وعند الهفوات علينا أن ننبهم بلطف ونحذر من التكرار، أما الزعم بأنهم لا يفهمون لأنهم صغار؛ فالطفل يفهم الخطأ قبل أن يتم عامه الأول؛ فنراه عندما يجذب شيئاً ليلقيه على الأرض مثلاً ينظر للأهل ويبتسم في محاولة للحصول على موافقتهم، ويعلم منذ صغره من يمكنه اللعب بهاتفه المحمول ومن يرفض ذلك؛ فلا مجال للزعم بعدم الفهم وتبرير ضعفنا وخوفنا الزائد عليهم من البكاء بعد العقاب.

تعمدنا وضع كلمة الأولاد بالعنوان وليس الأطفال؛ ففي كل عمر لا بد أن يوجد العقاب والثواب، وإذا قال الابن: أنا كبرت على العقاب، فليكن الرد: الكبير لا يتعمد الخطأ ولا يكرره، وإذا أخطأ فليعتذر وليتحمل العقاب، ومن يكبر فليُجد التصرف، وصدق المثل: من لا يتحمل العقاب فلا يرتكب الجريمة.

امنع الانكسار

العقاب ليس انتقاماً، ويجب ألا يمارس بعنف ولا بغضب شديد فيرسل لهم رسالة خاطئة بالانتقام، فهو رحمة بهم؛ لأنه الرادع من تكرار الخطأ، والوسيلة العملية لإعدادهم للتعامل مع الحياة.

أما الذين يتساهلون مع أخطاء الأبناء ولا يعاقبونهم؛ خوفاً عليهم من الحزن أو لتوهم أن العقاب سيكسرهم نفسياً، ويقول بعضهم: لن نكون والأيام على أولادنا، فيتناسون أن الحياة لن ترأف بأولادهم وترسل لهم من يتجاوزون عن أخطائهم، بدءاً من دور الحضانة وانتهاء بالعمل، ويتعامون عن زلاتهم، والواقع يؤكد أن هؤلاء الأبناء سيكونون أكثر عرضة للانكسار أمام المواقف العادية بالحياة خارج البيت، وأن الأهل حرموهم من النضج ومن تحمل مسؤولياتهم عن أفعالهم.

مهم أن يتناسب العقاب مع طبيعة شخصية الطفل؛ فحتى التوءمان تختلف شخصيتاهما.

www.mugtama.com

إذا أخطأ أحد الوالدين أو تعامل بقسوة مع الأولاد فليتجنب الطرف الآخر الحديث عن ذلك أمامهم

عند تعمد تكرار الخطأ فعليك أن تغلظ العقوبة ولا تعاقبه أمام أحد حتى ولو إخوته

وقد يتبادر للذهن فور سماع كلمة العقاب اللجوء للضرب، لكننا لا ننصح به إلا عند تعمد ارتكاب الأخطاء الفادحة وبأضيق نطاق؛ حتى لا يفقد قيمته، أو يعتاده الابن ولا يبالي به، وأذكر أمّاً قالت لي: إن ابنها أخطأ وسارع بإحضار الحزام وقال لها: هيا اضربيني! ونحن لا نريد ذلك.

يمكن عقاب الطفل بوضعه بحجرته والنور مضاء والباب مفتوح وإلزامه بالبقاء بها بلا لعب لبعض الوقت وفقاً للخطأ، ويمكن خصامه، لكن لا تبالغ بالخصام حتى لا يعتاده الأبناء.

ويمكن الامتناع عما يحبه من حكايات أو ما شابه، ونرفض المنع من الحلوى، حتى لا يزيد إقبال الأطفال عليها بعد انتهاء العقاب، ولا الثواب بالحلوى؛ حتى لا يربط بينها وبين المتعة مما يعرضه للسمنة ولأخطاء التغذية، ويمكن حرمانه من التنزه أو الحديث أو الذهاب لأصحابه.

ولنتجنب المبالغة بالعقاب؛ فالعنف يولّد العناد، والعقاب البسيط يجعل الطفل يستخف بالخطأ، ونفضل عقاب الأم للأبناء -عند غياب والدهم- ولا تقُل لهم: سيعاقبكم والدكم عندما يأتي للمنزل؛ فهذا يقلل من دورها كأم ويحصر الأب بدور العقاب، وكأن الأمر يحتاج لقوة لا تمتلكها الأم، وهذا خطأ.

من الأخطاء الشائعة التهديد بالعقاب ثم عدم تنفيذه؛ فيحرض الأبناء على التمادي بالأخطاء، أو إعلان قائمة عقوبات مبالغ بها ثم التراجع عن بعضها، وهذا خطأ يمس هيبة الوالدين، والهيبة مطلوبة، وهي تختلف عن الخوف؛ فالأولى تعني الاحترام والتعامل مع الوالدين على أنهما المسؤولان عن إدارة البيت، ويضعان القوانين به ويراقبان الالتزام بها لمكافأة من يلتزم بها ومعاقبة من يخرقها؛ فلا تقرر أبداً عقاباً لا يمكنك الالتزام به.

الأسوأ

يجب توضيح خطأ الابن بهدوء وبأقل كلمات، فالصراخ والكلام الكثير يشتتان ذهن الابن، ونرفض كلمات مثل: هل يعجبك اضطراري لعقابك؟ فسيفهم الابن أن الأب والأم لديهما مشكلة بعقابه وسيتساويان بالضيق من العقاب، وهذا خطأ، فلا بد أن يشعر الطفل أنه وحده من يدفع ثمن فعلته.

والأسوأ مصالحة أحد الوالدين الابن المعاقَب وتعويضه عاطفياً أو مادياً من دون علم الطرف الآخر؛ فسيفهم الابن أن الطرف الآخر ظالم أو سيئ، وهذا خطأ بشع.

إذا أخطأ أحد الوالدين أو تعامل بقسوة مع الأبناء فليتجنب الطرف الآخر الحديث عن ذلك أمامهم، وينفرد به ليخبره بذلك، وإذا شكا الابن فليؤكد حب الطرف الآخر له، وأنه فعل ذلك خوفاً عليه من توابع الخطأ، وعليه ألا يكرره ويستعيد الثقة به.

الأم العاملة قد تشعر بالذنب لترك طفلها للذهاب لعملها فتتساهل معه عندما يخطئ بحجة أن الوقت الذي تقضيه معه قليل؛ فلا ينبغي إضاعة بعضه بالعقاب، وهذا خطأ؛ فالعقاب جزء مهم من التربية ومن تكوين شخصية الطفل، وقبل العقاب يمكن استنكار الخطأ وكيف يفعله ذكي مثله، وإبداء الإعجاب بتصرفاته الجيدة سابقاً، وكذلك قد يفعل الأب الذي يقضي أوقاتاً طويلة بعمله، أو إذا كان كثير الأسفار؛ فليقم بدوره بالعقاب عند حدوث ما يستوجبه ولا يخذل نفسه ولا أولاده بتجاهل الأخطاء؛ فستكبر وسيعتادها الأبناء وسيقاومون بشدة أي محاولات للإصلاح؛ وكما يقال عن صدق؛ فإن تقويم الفرع المائل من الشجرة يكون أيسر وبلا خسائر عند بداية الاعوجاج.

تجنب النظر لوجه ابنك عندما تعاقبه؛ فسيحاول التأثير عليك بالاستجداء، وربما كانت نظراته بها تحدٍّ ليثير غضبك، ولا تتصرف أبداً كرد فعل لما يفعله ابنك عند سماعه العقاب.

لا تبالغ بالحرمان المادي وتجاهل إلحاحه لإنهاء العقاب ولا تضعف نفسك؛ فتراجعك ولو لمرة سيدفعه للاستهانة بالعقاب، وسيكرره وهو يعرف أنك ستخضع لإلحاحه.

لا تهنه بالسخرية منه، ولا تصفه بالفعل الذي ارتكبه، ووضّح كيف يتجنبه.

لا تقارنه بأقرانه ولا بإخوته الذين لا يرتكبون خطأه، وقل له: إنه أفضل من أن يرتكبه ويستطيع ذلك، ولا تذكره بأخطائه السابقة.

استمع إليه قبل العقاب، وإذا كذب أو حاول خداعك؛ فضاعف له العقاب بسبب ذلك حتى لا يعتاد الهروب من تحمل المسؤولية عن أفعاله.

عند تعمد تكرار الخطأ غلّظ العقوبة، ولا تعاقبه أمام أحد حتى ولو إخوته، وإذا أخطأ أمام الناس انفرد به وأخبره بعقابك، ولا تؤجل ذلك؛ حتى لا يتمادى وهو بمأمن من العقاب.

لا تعاقبه بالشتم فستعلمه السب، ولا تشهر به بعد العقاب.

لا تعاقب نفسك أو الأسرة بعد عقابه؛ حتى لا تشيع النكد بالبيت، وتعامل بصورة طبيعية، ولا تبالغ بالمرح؛ فيبدو وكأنك تغيظ المخطئ، وكن عادياً، وتذكر الإلحاح بالدعاء لله سبحانه بالهداية لأولادك ولأولاد المسلمين بكل زمان ومكان.■

بقلم:
محمد سالم الراشد

دول الخليج.. ومستقبل «التطبيع» مع الكيان الصهيوني

بعيداً عن الآراء الشرعية والمواقف السياسية والأبعاد الأخلاقية، فإن مناقشة آثار «التطبيع» المتوقع بين الكيان الصهيوني وبعض دول الخليج برؤية إستراتيجية سيجعل الكلفة لصالح الكيان الصهيوني، والخسارة المحتمة للدول الخليجية التي ستطبّع مع هذا الكيان.

وقبل أن نلج في صلب الموضوع، علينا التمعن في نتائج التطبيع مع الدول التي طبّعت العلاقات مع الكيان الصهيوني؛ كمصر والأردن والسلطة الفلسطينية، وبعض الدول التي فتحت مكاتب تعاون، حيث لم تجنِ الدول العربية أي فائدة، بل وعلى حسب تأكيد الخبير السياسي الفلسطيني (أستاذ العلوم السياسية) عبدالستار قاسم: «إن الأردن خرب، فلم يبقَ له لا مياه ولا أرض ولا آثار ولا مؤسسات ولا شركات كبرى، وذلك بعد السيطرة عليها «إسرائيلياً»، كما إن مساحات كبيرة من الأراضي في الأردن تُباع للصهاينة تمهيداً للوطن البديل، وحتى آثار البتراء تقع بيد الصهاينة»، وأقول: إنه ما زال الاقتصاد المصري ضعيفاً، وبقيت مصر تعاني الفقر، وهناك تهديد لمياه النيل، أما السلطة الفلسطينية فإن دولتها أصبحت سراباً، وإن «صفقة القرن» تنتظر نجاح «ترمب» في الانتخابات القادمة.

د. إبراهيم خالد عبدالكريم، في مؤلفه «الإستراتيجية الإسرائيلية إزاء شبه الجزيرة العربية» الذي أصدره مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية عام 2000م، حدد أهداف السياسة «الإسرائيلية» تجاه شبه الجزيرة العربية (المحاطة بالبحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي)، من أهمها المكانة الخاصة جيوسياسياً باعتبارها نقاط تقاطع خطوط المواصلات بين قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتوافر مخزون ضخم من الثروات الباطنية ومصادر مستمرة، والقدرة على التأثير في الواقع العربي، وامتلاك دولها لجميع مقومات التنمية الشاملة، وهذه تمثل فرصاً لانطلاق عملية السلام والاستثمار فيها، وضمان حماية الملاحة في البحر الأحمر، وتوفير فرص تدخل «إسرائيل» في الشؤون الخليجية، وإبقاء الخلل القائم في ميزان التسلح لصالح إسرائيل». انتهى.

ومن المتوقع أيضاً أن يكون الميزان التجاري بين دول الخليج والكيان الصهيوني لصالح الكيان؛ حيث كشف تقرير لمعهد «تونى بلير» (للتعاون الدولي) أن قيمة التبادل التجاري بين «إسرائيل» ودول الخليج تتجاوز المليار دولار سنوياً، وأن «إسرائيل» تصدّر إلى الخليج أكثر مما تصدّره إلى روسيا أو اليابان، ومن المتوقع أن يزداد حجم الصادرات عدة أضعاف في حالة إقامة علاقات رسمية قد تصل إلى 25 مليار دولار.

إن أحد أهم الأهداف الإستراتيجية للكيان الصهيوني رقابة مسار النفط والسيطرة عليه في حال نجاحه في توقيع اتفاقيات تطبيع مع الدول الخليجية، فالدول الخليجية تسعى لأن تخرج من منافذ الخليج والبحر الأحمر المسيطر عليها من دول أخرى إلى المصبات والبحار الواسعة؛ كالمحيط الهندي أو بحر العرب أو البحر الأبيض المتوسط، ومن هنا فإن السيطرة على مسارات النفط والغاز ستشكل على المستوى البعيد فرصة تحكم للكيان الصهيوني على نفط وغاز دول الخليج.

كما أن مصادر في الكيان الصهيوني تحدثت عن خطة جاهزة لبناء خط سكك حديدية يمتد من «إسرائيل» عبر الأردن وصولاً إلى دول الخليج، في محاولة لاستقطاب النفط الخليجي لنقله عبر ميناء حيفا الواقع شمال الكيان الصهيوني إلى الأسواق الأوروبية والأمريكية.

لكن من أهم المخاطر التي ستواجه دول الخليج حال التطبيع مع الكيان الصهيوني هو أن تكون دول الخليج ساحة حرب للإستراتيجية الصهيونية مع إيران في المنطقة، ولا يهم الصهاينة إن أحرقت المدن الخليجية في حرب تخدم مصالحهم، أو دخلت شعوب المنطقة في احتراب طويل الأمد لحساب السيطرة الصهيونية.

وتعتقد بعض الدول الخليجية أن مشروع «ترمب» في إيجاد ما يسمى «تحالف الشرق الأوسط» أو «قوة حماية الشرق الأوسط» هو في صالحها، إذ إن القيادة والسيطرة ستكون للولايات المتحدة و«إسرائيل»، في حين أن بعض الدول الخليجية ودول أخرى في المنطقة ستكون الميدان الجغرافي والقوة البشرية التي ستنفذ السياسات الأمريكية والصهيونية في المنطقة، فالهدف هو الأمن القومي الصهيوني على حساب الأمن القومي الخليجي والعربي، ولقد أتم الكيان الصهيوني خططاً عسكرية مستقبلية لتسديد ضربات إلى مواقع إيران تحت هذا الغطاء، في حين أن رد الفعل بالطبع سيكون على جغرافية الدول الخليجية.

إن انضمام الدول الخليجية لهذا التحالف سيكون بمثابة ضربة قاضية لقدرات دول الخليج لحماية نفسها وخضوعها كلياً للهيمنة الأمريكية والصهيونية وردود الفعل الإيرانية، وهذا يمثل إحدى الخسائر الكبيرة لاتفاقيات التطبيع مع الكيان الصهيوني.

كما أن سلاسل شراء الأسلحة الصهيونية والمنتجات الإلكترونية المعلوماتية والاستخباراتية والتعاون المعلوماتي الأمني سيكون شرعياً وقانونياً في حينها، حيث سيصبح الأمن الخليجي مكشوفاً بالكامل بما فيه أمن المواطنين ومعلوماتهم؛ مما سيجعل الشعوب الخليجية تحت السيطرة التامة والانقياد للأهداف الصهيونية؛ مما يعني أن التصادم بين الشعوب وحكوماتها سيكون على المحك، إذا أضفنا خطر تغيير الهوية على أجيال المنطقة، إذ بدأت بعض الدول الخليجية بتعديل قوانينها ومناهجها التعليمية وبيئتها العلمية للتكيف مع اتفاقيات التطبيع؛ مما سيعني تشويه الهوية العربية والإسلامية، وعلو النموذج الصهيوني على هوية الشعوب الخليجية، وبعد مرور عقد من الزمان على هذه الاتفاقيات، سيطالب الكيان الصهيوني بكل ما له علاقة بالتاريخ في المنطقة، حتى يصبح الكيان ممتداً على جميع جغرافية دول الخليج كما رُسمت من مؤسسيه.

فلماذا تنزلق بعض دول الخليج إلى اتفاقيات تطبيع هذه نتائجها الإستراتيجية الكارثية؟!■

www.mugtama.com

جمعية المنابر القرآنية
ALMANABR ALQURANIYA SOCIETY

وقف لخدمة القرآن الكريم

قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

صدقة جارية
وأجر لا ينقطع

سهمك الوقفي يصنع الكثير

• دعم أنشطة تعليم وحفظ وتلاوة القرآن الكريم • رعاية ودعم الحفاظ اليتامى والفقراء • توفير مصاحف التعليم للطلبة والحفاظ المكفوفين • كفالة ورعاية محفظ القرآن وإعانته على أداء رسالته • إعمار المساجد بالحلقات القرآنية • تدريب معلمي ومعلمات القرآن الكريم على أيدي كبار علماء القراءات.

شاركنا .. في الخير 11 666 971

almanabr.org | @almanabr

أو عن طريق الاستقطاع البنكي - بيت التمويل الكويتي

رقم حساب: 391010004473

رقم الآيبان: KW47KFHO0000000000391010004473

التبرع .. عن طريق الاستقطاع أو عن طريق كي-نت

بيت التمويل الكويتي 01114001057 7

بنك الكويت الوطني NBK 1000314577

94 06 40 61 (24 83 44 14